بيوت الجنة

ومنازلها ووصفها والسبيل إليها

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب: بيوت الجنة ومنازلها ووصفها والسبيل إليها
إعداد الشيخ : أبو مالك عدنان المقطري
رقم الإيداع: ٢٠١٩/١٦٧٧٠.
نوع الطباعة: لون واحد.
عدد الصفحات: ٢٢٠.
القياس: ١٧X٢٤.

تجهيزات فنية:
مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية
أعمال فنية وتصميم الغلاف أ/ يسري حسن.

٢٠١٩

الإدارة
دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

المبيعات
دار القمة لتوزيع الكتاب والشريط الإسلامي
١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

E-mail
dar_aleman@hotmail.com

دار الإيمان المتحدة
أمام مستشفى الصوفي - أسفل مدارس اليمن الحديثة
مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة ذمار
جوال: ٧٧٥٣٠٩٩٣٥

بُيُوتُ الجَنَّةِ

ومنازلها ووصفها والسبيل إليها

إِعْدَاد
أبو مالك عدنان المقطري
عفا الله عنه

دار القمة
الإسكندرية

دار الإيمان
الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن البيت نعمة من نعم الله الكثيرة التي منَّ بها على الإنسان، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ٨٠﴾ [النحل ٨٠].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(التفسير ١٤٨/٦)** : « وهذه الآية فيها تعديد نعم الله تعالى على الناس في البيوت » أ.هـ.

والبيت سكن ومأوى وستر، وفيه منافع متعددة فمن ذلك:

أنها ستر لاسيما للمرأة إذ يقول تعالى: ﴿ **وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ** ﴾ فأمر الله نساء المسلمين بالقرار في البيوت ولزومها، وإن كان الخطاب لنساء النَّبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ- فقد دخل غيرهن فيه، والبيت مكان لحفظ النفس من الشرور والفتن ففي حديث ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أن رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ- قال : **(طوبى لمن ملك لسانه، ووسعه بيته، وبكى على خطيئته)** [١].

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أن رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ- قال: **(سلامة الرجل في الفتنة أن يلزم بيته)** [٢].

وعند الترمذي عن عقبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أن رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ- قال: **(أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابكي على خطيئتك)**. [٣]

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط برقم :(٢٣٤٠).وصححه الألباني في صحيح الجامع :(٣٩٢٩).
(٢) وحسنه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم :(٣٦٤٩).
(٣) رواه الترمذي برقم :(٢٤٠٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة :(٨٨٨).

وجعل النَّبي -ﷺ- البيت الواسع من السعادة فقال : **(أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء)** (١) .

وكان من تعجيل الله تعالى العقاب لبعض الكفار أن سلبهم نعمة القرار في بيوتهم، ومن ذلك ما جاء في القرآن الكريم من قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ ﴾ [الحشر:٢] ، والمعني بهذه الآية هم يهود بني النضير الذين نقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله -ﷺ- فحل الله بهم بأسه، وأنزل عليهم قضاءه، وكان عاقبتهم الخزي في الدنيا مع ما يدخره لهم في الآخرة من العذاب الأليم.

فأجلاهم النَّبي -ﷺ- وأخرجهم من حصونهم الحصينة، وبيوتهم المتينة. فانظر كيف جعل الله عَزَّوَجَلَّ خروج هؤلاء القوم من بيوتهم وتشردهم منها نقمةً، وعذابًا، وخزيًا عظيماً، وعلى كل فالبيت نعمة عظيمة من نعم المولى عَزَّوَجَلَّ.

وكم يسعى الإنسان في هذه الحياة للبحث عن بيت واسع، أو مسكن مريح، و لر بما رأيته يكد ويسهر الليالي الطوال لتحقيق هذه الغاية، والسعي وراء هذا الهدف، ومنهم من يوفق لذلك، وآخرون يموتون وتموت معهم أحلامهم.

ثم اعلم أنه لما كان البيت بهذه الأهمية في الدنيا، فهو في الآخرة أعظم من ذلك بكثير، إذ أن الإنسان إن لم يسعَ إلى بناء بيت في جنة الخلد فهو لزامًا يودي بنفسه إلى منازل النار، وجهنم و بئس القرار. وبيوت الدنيا فانية لا محالة مهما

---

(١) رواه أحمد :(١ / ١٦٨) دون ذكر(الجار الصالح)، وابن حبان في صحيحه : (١٢٣٢).، وأبونعيم في الحلية حديث :(١٣٠٧٩)، وصححه الألباني في الصحيحة برقم : (٢٨٢).

كان طولها، وعرضها، ومتانتها، وصلابتها، فلا خلود لأحد في هذه الحياة.

قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[الأنبياء: ٣٤ -٣٥].

ولما رأينا الناس في هذا الزمان قد طغت عليهم الماديات، واشتغلوا بحطام الدنيا الفانية، والتكالب على متاعها الزائل، وألهاهم تشييد القصور والعمارات في الدنيا عن بناء منازل الجنة، كان لا بد من وقفة لتأخذ بالقلوب إلى جنة الرحمن،وتشوقها لمنازل وقصور في أعلى الجنان.

وإن كان بعض المسلمين قد حُرم من قصور الدنيا، وبيوتها الفانية الزائلة، فليعلم يقينًا أن الله سيعوضه في الجنة بقصور تجري من تحتها الأنهار.

ولن يكون ذلك إلا بالسير على خطى هذا الدين، والتمسك بأوامره، وعلى المسلم وهو يقرأ في فضل البيت، وعظيم أهميتها في الحياة الدنيا أن يتذكر بذلك بيوت الجنة، ولا تشابه بين بيوت الدنيا، وبيوت الجنة، ولو لم يكن من ذلك إلا أن موضع السوط في الجنة خير من الدنيا بأسرها، وزينتها وبهرجها، فكيف ببيت طوله بالكيلومترات، والأميال، وقصر مشيد إلى الأعالي.

وفي حديث سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: **(لموضع سوط أحدكم في الجنة ، خير من الدنيا وما فيها)** [(١)].

ومن خلال استعراض النصوص في وصف بيوت الجنة ومنازلها يتبين لك الفارق الكبير، بل إنه لا مقارنة؛ لقول عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : **(ليس في الدنيا مما في الجنة ، إلا الأسماء)**[(٢)].

(١) أخرجه البخاري : (٢٨٩٢)
(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان : القول في تأويل قوله:﴿ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾.

وصف بيوت أهل الجنة وغرفهم

قال الله تعالى : ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ٢٠ ﴾ [الزمر : ٢٠] .

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **: (حادي الأرواح) ص: ١٢٧:**

« فأخبر أنها غرف فوق غرف، وأنها مبنية بناء حقيقة، لئلا تتوهم النفوس أن ذلك تمثيل، وأنه ليس هناك بناء، بل تتصور النفوس غرفًا مبنية كالعلالي بعضها فوق بعض، حتى كأنها تنظر إليها عيانًا ، ومبنية : صفة للغرف الأولى والثانية، أي: لهم منازل مرتفعة وفوقها منازل أرفع منها» أ.هـ.

وقال العلامة ابن كثير - رَحِمَهُ ٱللَّهُ **- (تفسير القرآن: ٥٣/٤):** «أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عن عباده السعداء أن لهم غرفًا في الجنة، وهي القصور أي الشاهقة، ﴿ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ ﴾ طباق فوق طباق مبنيات، محكمات، مزخرفات، عاليات» أ. هـ.

ومع حسنها وبهائها وصفائها تجري من تحتها الأنهار المتدفقة، الساقية للبساتين الزاهرة، والأشجار الطاهرة، فتغل بأنواع الثمار اللذيذة، والفاكهة النضجية(١) .

فتسلك الأنهار من خلال بيوتهم كما يشاءوا، وأين أرادوا. فهي بذلك جامعة لأسباب النزهة، وبهذا وعد الله عباده المتقين، وخلقه المؤمنين، وما دام أن الله وعدهم ، فهو لا يخلف الميعاد، فليوفوا بخصال التقوى ليوفيهم أجورهم(٢) .

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة السعدي :(ص: ٧٢٢).
(٢) راجع تفسير القرآن العظيم لابن كثير : (٤ / ٥٤) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي :(٨/ ٤٨٩)، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي : (٧٢٢).

وفي سورة الفرقان بعد ذكره تبارك وتعالى لصفات عباده المؤمنين، وأخلاقهم الكريمة التي تحلو بها، وعاشوا معها فكان لهم في الدنيا الذكر الحسن، والثناء الجميل، وأما يوم لقائهم لربهم،وقدومهم عليه فقال تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ ﴾

[الفرقان:٧٥] .

فبسبب صبرهم نالوا المنازل الرفيعة، والمساكن الأنيقة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(حادي الأرواح ص: ١٢٧)**: «وتأمل كيف جُعل جزاؤهم على هذه الأفعال المتضمنة للخضوع والذل والاستكانة لله، الغرف والتحية والسلام في مقابلة صبرهم على سوء خطاب الجاهلين لهم، فبدلوا بذلك سلام الله وملائكته عليهم « أ.هـ.

وقال الإمام القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ٣٧٧/٧ : «﴿ ٱلْغُرْفَةَ ﴾: الدرجة الرفيعة وهي أعلى منازل الجنة وأفضلها، كما أن الغرفة أعلى مساكن الدنيا، حكاه ابن شجرة، وقال الضحاك: الغرفة الجنة، ﴿ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ : أي بصبرهم على أمر ربهم، وطاعة نبيهم عليه أفضل الصلاة والسلام وقال محمد بن علي ابن الحسين :﴿ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ على الفقر، والفاقة في الدنيا. وقال الضحاك: «بما صبروا على الشهوات» أ.هـ. ثم قال تعالى : ﴿ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [الفرقان : ٧٥ – ٧٦] .

قال العلامة ابن كثير (تفسير القرآن، العظيم: ٣٤٢/٣) : « أي يبتدرون فيها بالتحية والإكراه، ويلقون التوقير والاحترام، فلهم السلام وعليهم السلام، فإن الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم

عقبى الدار.

وقوله تعالى: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ﴾ أي: مقيمين لا يظعنون، ولا يحولون، ولا يموتون، ولا يزولون عنها، ولا يبغون عنها حولًا، كما قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [هود: ١٠٨] ،الآية، وقوله تعالى: ﴿ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ ﴾ أي: حسنت منظرًا، وطابت مقيلًا ومنزلًا » أ.هـ.

فقد جمعت الآيتان نعيمًا عظيمًا لأصحاب الغرف في الجنة فمن المنازل الرفيعة وأفضلها إلى السلام، والتحية، والتوقير، والإكرام، إلى الخلود وأبدية المقام ثم إلى الاستقرار وطيب المقيل والمنزل. وزيادة على هذا كله فهم في جوار الرحمن جل جلاله.

وفي سورة سبأ يذكر لنا القرآن وصفًا آخرًا لمن سكن الغرف واعتلا القصور في جنة العزيز الغفور فقال تعالى: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سبأ: ٣٧].

فهم في غرف الجنة في أمان مطلق، في أمان من سقوط سقفها، أو نزول المياه من أثقابها، وفي أمان من أذية هوام الدنيا وحشراتها، وفي أمان من انفجار مجاريها، وقذارة رائحتها، في أمان من انقطاع مياهها أو خلل في كهربائها، في أمان من شجار مع جيرانها بحدود وعلامات فيها، ويأمن صاحب الإيجار في الدنيا من تعب مؤجرها، فينقل إلى بيت باسمه، وملك يمينه.

يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(تفسير القرآن: ٥٤٩/٣)**: « في منازل الجنة العالية آمنون من كل بأس، وخوف، وأذى. ومن كل شر يحذر منه» أ.هـ.

وقال القرطبي (الجامع: ٨/ ٢٦٢) : ﴿ ءَامِنُونَ ﴾ أي : من العذاب، والموت، والأسقام، والأحزان» أ.هـ.

ورغم ما يعيشه المؤمن في غرف الجنة وقصورها من الأمـان، والخير والاطمئنان فهو كذلك في مسكن طيب كما وصفه المولى عَزَّوَجَلَّ فقال : ﴿ وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ﴾ .

فجمعت كل طيب، من علو، وارتفاع، وحسن بناء، وزخرفة، قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا : «هي غرف من ياقوت، وزبرجد، ودرر» .

ولقد أخبر الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام هذه الأمة عن طيب الجنة وتربتها، فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال:قال رسول الله–صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ– : **(لقيت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله، والله أكبر.)** [(١)] .

بناء بيوت الجنة :

ومن طيب مساكن الجنة أن بناءها من ذهب وفضة، وطينتها المسك والإذخر، وترابها الزعفران، فعن عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: سُئِلَ رسول الله–صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ–عن الجنة فقال: **(من يدخل الجنة يحيا ولا يموت، وينعم ولا يبأس، ولا تبلى ثيابه، ولا يفني شبابه، قيل: يا رسول الله؟ كيف بناؤها قال: لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها مسك أدخر، وحصباؤها** [(٢)] **اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران)** رواه ابن أبي شيبة [(٣)].

(١) أخرجه الترمذي كتاب الدعوات حديث : (٣٤٦٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة : (١٠٥).
(٢) حصباؤها : الحصباء هي الحصى ، والملاط :الطين
(٣) رواه بن أبي شيبة في مصنفه :(١٣ / ٩٥)،وحسنة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (٣٧١٣).

صفاء بيوت الجنة:

عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: **(إن في الجنة غرفًا يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام)** (١).

وفي حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **(إن في الجنة لغرفًا يُرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها، فقام أعرابي فقال: يا رسول الله لمن هي؟ قال: لمن طيب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام)** (٢).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: « **إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف كما يتراءون الكوكب الغابر في الأفق**» (٣).

فمن حسن هذه المنازل وصفائها أنه يُرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، ومن علوها وارتفاعها إنها تُرى كما يُرى الكوكب الغابر في الأفق الشرقي أو الغربي (٤).

خيمة هذا وصفها فما بالك بالقصور:

عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: **(إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة طولها ستون ميلًا للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم فلا يُرى بعضهم بعضًا)** متفق عليه(٥).

---

(١) أخرجه أحمد: (٥/ ٣٤٣)، وعبدالرزاق: (١١ / ٤١٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: (٢١٢٣).

(٢) أخرجه الترمذي كتاب صفة الجنة باب ما جاء في صفة الجنة برقم: (٢٥٢٧)، وحسنه الألباني في المشكاة برقم: (١٢٣٣).

(٣) أخرجه البخاري: (٣٢٥٦)، ومسلم: (٢٨٣٨) من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) تيسير الكريم الرحمن للعلامة السعدي ص: (٧٢٢).

(٥) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: (ص: ١٩٠).

وفي لفظ لمسلم :(**في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلًا في كل زاوية منها أهل ، ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمن**).

وفي رواية « **طولها في السماء ستون ميلًا** » وهذه الخيام غير الغرف والقصور بل هي خيام في البساتين، وعلى شواطئ الأنهار [١].

طول الخيمة ستون ميلًا، والميل بتقديرات العصر كيلو ونصف، فيكون مجموع طول الخيمة تسعون كيلومترًا. فهذا حجم الخيمة، فما بالك بالغرف، وكيف تكون القصور.

وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :« الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون بابًا كلها من درة»[٢].

وقال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : (الخيمة درة من لؤلؤة مجوفة طولها فرسخ، وعرضها فرسخ، ولها ألف باب من ذهب حولها سرادق طوله خمسون فرسخًا، يدخل عليه من كل باب منها ملك بهدية من عند الله عَزَّ وَجَلَّ وذلك قوله:﴿ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ [الرعد: ٢٣] [٣].

حور مقصورات في الخيام:

في خيام اللؤلؤ المجوفة للمؤمن أهل قد تهيأن، وأعددن أنفسهن لأزواجهن.

والحور: جمع حوراء: وهي المرأة الشابة الحسناء، الجميلة، البيضاء، شديدة سواد العين. وقال زيد بن أسلم: الحوراء التي يحار فيها الطرف،وعين : حسان الأعين، وفي تعريف الحور العين توضيح جلي لمكنون جمالهن، وسلبهن للعقول.

(١) أخرجه البخاري : (٣٢٥٦) ، ومسلم : (٢٨٣١) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة :(٣٢٧).
(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة برقم :(٣١٨).

ويقول تعالى: في وصف صاحبات الخيام من الحور العين: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الرحمن:٥٨] .

قال الحسن وعامة المفسرين: (أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان، شبههن في صفاء اللون وبياضه بالياقوت والمرجان) .

وقال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : (والياقوت حجر لو جعلت فيه سلكًا، ثم استصفيته نظرت إلى السلك من وراء الحجر).

وقال تعالى :﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الرحمن:٧٠] .

فالخيرات جمع خيرة، فهن خيرات الصفات، والأخلاق، والشيم، حسان الوجوه.

وفي وصفهن يقول تعالى :﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ وعُربًا: جمع عروب، وهن المُحببات إلى أزواجهن، يريد حسن مواقعتها، وملاطفتها لزوجها عند الجماع.

والأتراب : اللاتي على سن واحدة، وهي ثلاث وثلاثين سَنة التي هي غاية ما يتمنى، ونهاية سن الشباب، وقال عَزَّوَجَلَّ عنهن: ﴿ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الواقعة: ٢٣] ، أي : كأنهن اللؤلؤ الأبيض الرطب الصافي البهي، المستور عن الأعين، والريح، والشمس، الذي يكون لونه من أحسن الألوان، الذي لا عيب فيه بوجه من الوجوه، فكذلك الحور العين، لا عيب فيهن بوجه من الوجوه بل هن كاملات الأوصاف، جميلات النعوت، لن تجد فيها إلا ما يروق الخاطر، ويسر الناظر.

وقال عَزَّوَجَلَّ : ﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [النبأ: ٣٣] .

قال الكلبي: هن المفلكات اللواتي تكعبت ثديهن، وتفلكت، وأصل اللفظة من الاستدارة، والمراد أن ثديهن كالرمان ليست متدلية إلى أسفل ويسميان

نواهد (١).

وفي سُنَّة المصطفى -ﷺ- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين، على كل واحدة سبعون حلة،يرى مخ ساقها من وراء الثياب).** (٢)

معرفة أهل الجنة لمنازلهم فيها من غير استدلال:

قال تعالى ﴿ **وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾** ﴾ [محمد٤-٦] .

قال مجاهد: (يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحدًا).

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : (هم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم).

وقال محمد بن كعب: (يعرفونها كما تعرفون بيوتكم في الدنيا، إذا انصرفتم من يوم الجمعة).

وفي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله -ﷺ- قال: **(والذي نفسي بيده إن أحدهم بمنزله في الجنة أدل منه بمسكنه الذي كان في الدنيا)** (٣) ». (٤).

﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ :

لما كانت منازل الجنة، وبيوتها بهذه المنزلة الجليلة، والمرتبة العظيمة،

(١) انظر حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص:(٢٠٢ ٢٠٤) ، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ص : (٨٣٣).

(٢) رواه أحمد :) ٨٣٣٣) ، وصححه الألباني في الصحيحة : (برقم : ١٧٣٦).

(٣) أخرجه البخاري برقم : (٢٤٤٠).

(٤) راجع حادي الأرواح لابن القيم ص: (١٣١ ١٣٢).

والأوصاف الجميلة التي تبهر العقول، وتذوب النفوس شوقًا أمام أوصافها وجمالها، فلما كانت كذلك، شمر لها المشمرون، ورفعوا راية الاجتهاد في الطاعة، والتضحية في سبيل الله تعالى من أجل الوصول إلى ذلك النعيم.

وكان مما ذكره لنا القرآن امرأة فرعون، وهي آسية بنت مزاحم.

والتي دعت الله - عَزَّوَجَلَّ - أن يبني لها بيتًا في الجنة فابتهلت إلى ربها تدعوه وهي في وسط العذاب، وبين الأوتاد. قائلةً: ﴿ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ ﴾ [التحريم:١١] .

ودعنا أخي الكريم نحذو حذو هذه المرأة الصالحة والقانتة الصابرة في طلب بيت في الجنة، وسلوك سبيل الوصول إلى منازلها، والسعي لنيل العيش في قصورها، والتمتع بخيامها.

وفي هذا الكتاب - أضع بين يديك - ما يُعينني وإياك على نيل هذا المراد، وبلوغ المرام، فلكل شيء ثمن ولمنازل الجنة ثمن لا بد من دفعه، وطريق ينبغي سلوكه، جاء بيانه في كتاب الله وسُنَّة رسول الله-ﷺ-ترى نصوصها في ثنايا هذا الكتاب سائلًا المولى عَزَّوَجَلَّ أن ييسر لنا سلوك هذا السبيل. فاللهم آمين.

من جاءت النصوص بتسمية قصورهم في الجنة من الأنبياء والصالحين نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-

قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَيَجۡعَل لَّكَ قُصُورٗا ١٠ ﴾[الفرقان١٠] .

إن قصور النَّبي -صلى الله عليه وسلم- في الجنة كثيرة، ومن تلك القصور التي رزقها الله نبيه -صلى الله عليه وسلم- في الجنة:

قصر في جنة عدن:

جاء في صحيح البخاري عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لنا: **(أتاني الليلة آتيان فابتعثاني، فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة، فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راءٍ، وشطرٌ كأقبح ما أنت راءٍ، قالا لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر، فوقعوا فيه، ثم رجعوا إلينا قد ذهب السوء عنهم، فصاروا في أحسن صورة، قالا لي: هذه جنة عدن وذاك منزلك قال: أما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن، وشطر منهم قبيح، فإنهم خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا، تجاوز الله عنهم)** (١).

قصر مثل الربابة البيضاء:

وفي رواية أخرى في صحيح البخاري قال: **(فانطلقنا فانتهينا إلى روضة عظيمة لم أرَ روضة قط أعظم منها ولا أحسن، قال: قالا لي: ارْقَ فيها، قال: فارتقينا فيها فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة، فأتينا باب المدينة، فاستفتحا ففُتح لنا، فدخلناها، فتلقانا فيها رجال شطرٌ من خلقهم كأحسن ما أنت راءٍ وشطرُ**

(١) أخرجه البخاري في صحيحة : (٤٦٧٤).

كأقبح ما أنت راءٍ، قال: قالا لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر. قال: وإذا نهر معترض يجري كأن ماءه المحض في البياض، فذهبوا فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم، فصاروا في أحسن صورة، قال: قالا لي: هذه جنة عدن، وهذاك منزلك قال: فسما بصري صُعُدًا، فإذا قصرُ مثل الربابة البيضاء [(١)]. قال: قالا لي: هذاك منزلك قال: قلت لهما: بارك الله فيكما ذراني فأدخله. قال: قالا: أما الآن فلا، وأنت داخله..» [(٢)].

قصر على نهر الكوثر:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: (ما هذان النهران ياجبريل؟، قال: هذا النيل والفرات عنصرهما، ثم مضى به في السماء، فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب يده، فإذا هو مسك أذفر قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك) [(٣)].

منزل مثل السحاب له -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في الجنة:

عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان النَّبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه، فقال: (من رأى منكم الليلة رؤيا؟ قال: فإن رأى أحد قصها، فيقول: ما شاء الله، فسألنا يومًا، فقال: (هل رأى أحد منكم رؤيا؟ قلنا: لا، قال: لكني رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة، إلى أن قال: فرفعتُ رأسي فإذا فوقي مثل السحاب، قالا: ذاك منزلك، قلت: دعاني أدخل منزلي، قالا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله، فلو استكملت أتيت منزلك) [(٤)].[(٥)].

---

(١) قال الخطابي: الربابة هي السحابة التي ركبت بعضها على بعض. الفتح: (١٢ / ٤٤٤).
(٢) أخرجه البخاري رقم: (٧٠٤٧).
(٣) أخرجه البخاري رقم: (٧٥١٧).
(٤) أخرجه البخاري رقم: (١٣٨٦).
(٥) منقول من كتاب(رحلة إلى الدار الآخرة)لأبي عمار محمود المصري مع تصرف يسير.

خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **:**

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: « **أتى جبريل النَّبي-** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **-فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام، أو طعام ، أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه، ولا نصب**»[١].

وعن عبد الله بن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قيل له:أكان رسول الله- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -بشر خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ببيت في الجنة؟ ، قال: (**نعم بشرها ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب**). [٢].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: « **بشر رسول الله-** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **-خديجة بنت خويلد ببيت في الجنة**» [٣].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ **(شرح مسلم ١٥/١٦٦):** (« ببيت من قصب« قال جمهور العلماء : المراد به قصب اللؤلؤ المجوف كالقصر المنيف، وقيل قصب من ذهب منظوم بالجوهر ، قال أهل اللغة: القصب من الجوهر ما استطال منه في تجويف. قالوا: ويقال لكل مجوف قصب، وقد جاء في الحديث مفسرًا ببيت من لؤلؤة مخبأة، وفسروه بمجوفة).

قال الخطابي وغيره: (المراد بالبيت هنا القصر. وأما « الصخب»فبفتح الصاد والخاء وهو:الصوت المختلط المرتفع ،«والنصب»المشقة والتعب). أ.هـ

وقال الحافظ ابن حجر (فتح الباري ٧/ ١٣٨): (قال السهيلي: النكتة في قوله: « من قصب» ولم يقل من لؤلؤة مجوفة أن لفظ القصب مناسبة لكونها

(١) أخرجه البخاري : (٣٨٢٠)و مسلم : (٢٤٣٢).
(٢) أخرجه البخاري :(٣٨١٩) ومسلم : (٢٤٣٣).
(٣) أخرجه مسلم : (٢٤٣٤).

أحرزت قصب السبق بمبادرتها إلى الإيمان دون غيرها ولذا وقعت هذه المناسبة في جميع ألفاظ هذا الحديث، انتهى. وفي القصب مناسبة أخرى من جهة استواء أكثر أنابيبه وكذا كان لخديجة من الاستواء ما ليس لغيرها. وأما قوله: « ببيت» فقال أبو بكر الإسكافي في « فوائد الأخبار» :المراد به بيت زائد على ما أعد الله لها من ثواب عملها، ولهذا قال: « لا نصب فيه» : أي لم تتعب بسببه. قال السهيلي: لذكر البيت معنى لطيف لأنها كانت ربة بيت قبل المبعث ثم صا ر ت ربة بيت في الإسلام منفردة به، فلم يكن على وجه الأرض في أول يوم بعث النَّبي -ﷺ- بيت إسلام إلا بيتها، وهي فضيلة ما شاركها فيها أيضًا غيرها.

قال: وجزاء الفعل يذكر غائبًا بلفظه، وإن كان أشرف منه، فلهذا جاء في الحديث بلفظ البيت دون لفظ القصر. انتهى.

وفي ذكر البيت معنى آخر، لأن مرجع أهل بيت النَّبي -ﷺ- إليها، لما ثبت في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[الأحزاب:٣٣] قالت:أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :« لما نزلت دعا النَّبي -ﷺ- فاطمة وعليا والحسن والحسين فجللهم بكساء، **فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي**» الحديث أخرجه الترمذي وغيره، ومرجع أهل البيت هؤلاء إلى خديجة لأن الحسنين من فاطمة وفاطمة بنتها، وعليّ نشأ في بيت خديجة، وهو صغير ثم تزوج بنتها بعدها، فظهر رجوع أهل البيت النبوي إلى خديجة دون غيرها». أ.هـ.

وقال: (لا صخب فيه ولا نصب).. وقال السهيلي: مناسبة نفي هاتين الصفتين أعنى المنازعة والتعب أنه-ﷺ-لما دعا إلى الإسلام خديجة طوعًا فلم تحوجه إلى رفع صوت، ولا منازعة، ولا تعب في ذلك بل أزالت عنه كل

نصب، وأنسته من كل وحشة، وهونت عليه كل عسير، مناسب أن يكون منزلها الذي بشرها به ربها بالصفة المقابلة لفعلها» أ.هـ.

عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : قال النَّبي -ﷺ-: (**رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء**[1] **امرأة أبي طلحة وسمعت خشفة، فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلال، ورأيت قصرًا بفنائه**[2] **جارية، فقلت: لمن هذا؟، فقال: لعمر، فأردت أن أدخله فانظر إليه، فذكرت غيرتك**. فقال عمر: بأبي وأمي يا رسول الله أعليك أغار) [3].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينا نحن عند رسول الله-ﷺ-:(**إذ قال: بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعُمر، فذكرت غيرته فوليت مدبرًا**، فبكى عمر، وقال: أعليك أغار يا رسول الله؟) [4].

وعند الترمذي عن عبد الله بن بريدة قال: حدثني أبي بر يدة قال: أصبح رسول الله-ﷺ-فدعا بلالًا، فقال: يا بلال بما سبقتني إلى الجنة ما دخلت قط إلا سمعت خشخشتك أمامي. دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك أمامي، فأتيت على قصر مربع مشرف[5] من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر، قالوا لرجل من العرب، فقلت : أنا عربي لمن هذا القصر؟، فقالوا: لرجل من قريش، قلت: أنا قرشي، قالوا: لرجل من أمة محمد، قلت: أنا محمد لمن هذا

(١) الرميصاء: وهو مصغر الرمصاء مؤنث الأرمص بالراء والصاد المهملة ولقبت بها لرمص كان بعينها.
(٢) والفناء: جانب الدار
(٣) أخرجه البخاري :(٣٦٧٩)، ومسلم (٢٣٩٥).
(٤) أخرجه البخاري : (٣٦٨٠)، ومسلم : (٢٣٩٥).
(٥) أي :له شرفه والشرفة في القصر ما أشرف من بنائه) تحفة الأحوذي :١٠ / ١٢٠).

القصر؟، قالوا :لعمر بن الخطاب، فقال بلال : يا رسول الله ما أذنت قط إلا صليت ركعتين، وما أصابني حدث قط إلا توضأت عندها ورأيت أن لله عليّ ركعتين» [١].

قال الحافظ ابن حجر في شرحه لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **المتقدم (الفتح ٤٥/٧) :** (وفيه فضيلة ظاهرة لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

قلت: ولو لم يكن لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلا هذه الفضيلة لكفى، كيف والأحاديث مبثوثة في كتب السُنَّة ناطقة بفضله، مخبرة عن مناقبه متحدثة عن زهده وورعه، وتقواه وخشيته، وفوق هذا وذاك حب الله تعالى ورسوله-ﷺ-له، فقد كان أحب العمرين إلى الله، ومن أحب الرجال إلى رسول الله ﷺ.

آسية بنت مزاحم - امرأة فرعون :

إنها المرأة الصابرة المحتسبة، ممن كمل من النساء، وسيدات نساء العالمين.

عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله-ﷺ-: **(كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)** [٢].

وعند الحاكم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : أن النَّبي-ﷺ-قال: **(سيدات نساء أهل الجنة أربع: مريم، وفاطمة، وخديجة، وآسية)** [٣].

وما نالت هذه المرأة، هذه المنزلة إلا بالعقل الراجح، والإيمان الشامخ ، وقد جعلها الله مضرب مثل للمؤمنين في صبرها وثباتها وفي إيمانها، وصدق يقينها.

---

(١) أخرجه الترمذي برقم : (٣٦٨٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم : (١٤٢٣).
(٢) أخرجه البخاري برقم : (٣٧٧٠).
(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه : (٣/ ١٨٥)، وانظر صحيح الجامع : (٣٦٧٨).

قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (١١) ﴾

[التحريم:١١].

فمن رجاحة عقلها، وسلامة لبها، أنها طلبت الجار قبل الدار.

وبينما أنت تطوف في ثنايا دعائها، يتضح لك ما عانته من العذاب، وما أصابها من النكال، وكيف ظُلمت من فرعون، وجنده ظلماً عظيماً، ليس لشيء إلا أنها آمنت برب العالمين، وكفرت بربوبية فرعون الزائفة، والتي أعلنها كذبًا وزورًا. ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ (٢٤) ﴾ [النازعات:٢٤].

عن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: « كانت امرأة فرعون تعذب في الشمس فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها، وكانت ترى بيتها في الجنة» .

وقيل :سمد يديها ورجليها في الشمس، ووضع على ظهرها رحى.

وقال أبو العالية: اطلع فرعون على إيمان امرأته، فخرج على الملأ، فقال لهم: ما تعلمون من آسية بنت مزاحم؟، فأثنوا عليها، فقال لهم: إنها تعبد ربًا غيري.

فقالوا له: اقتلها، فأوتد لها أوتادًا، وشد يديها ورجليها. فقالت: ﴿ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ ﴾ ووافق ذلك حضور فرعون، فضحكت حين رأت بيتها في الجنة، قال فرعون: ألا تعجبون من جنونها ؟! إنا نعذبها وهي تضحك، فقبض الله روحها (١).

فبيت الجنة الذي طلبته احتاج منها إلى تضحية وبذل، وجادت بنفسها لله تعالى في سبيل الوصول إلى بيت في الجنة، فالثمن غالي ، والسلعة أغلى.

(١) انظر تفسير ابن كثير : (٤ / ٤٢٠)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي :(١٠ / ٩٣).

دار الشهداء

عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: **(إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي: انطلق وإني انطلقت معهما، فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخ وصبيان، وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعدا بي في الشجرة، وأدخلاني دارًا لم أر قط أحسن منها، فيها رجال شيوخ، وشباب، ونساء، وصبيان، ثم أخرجاني منها فصعدا بي الشجرة فأدخلاني دارًا هي أحسن وأفضل، فيها شيوخ وشباب، فقلت: طوفتماني الليلة، فأخبراني عما رأيت؟ قالا: نعم،.... والشيخ في أصل الشجرة، إبراهيم والصبيان حوله فأولاد الناس، والذي يوقد النار مالك خازن النار، والدار الأولى التي دخلت دارُ عامة المؤمنين، وأما هذه الدار فدار الشهداء، وأنا جبريل وهذا ميكائيل)** (١).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: **(يؤتى بالرجل يوم القيامة من أهل الجنة فيقول: يا ابن آدم كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أي رب! خير منزل، فيقول: سل وتمنَّ، فيقول: يا رب ما أسال ولا أتمنى إلا أن تردني إلى الدنيا، فأقتل في سبيلك عشر مرات؛ لما يرى من فضل الشهادة).** (٢).

الشهيد : هو من باع نفسه، وقدم روحه في سبيل الله تعالى، وإرضاءً للمولى عَزَّوَجَلَّ ، لسان حاله :« اللهم خذ من دمي اليوم حتى ترضى » ، وأخرى: ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ ﴾ [طه : ٨٤].

(١) أخرجه البخاري : (١٣٨٦).
(٢) أخرجه النسائي : (٣١٦٠)، وصححه الألباني صحيح الترغيب :(١٣٥٣)، وهو في مسلم : (باب الوحدة) هذا الحديث.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١﴾ [التوبة:١١١].

قال العلامة القرطبي (الجامع لأحكام القرآن: ٥/٢٤٤) :

« فاشترى الله سبحانه من العباد إتلاف أنفسهم وأموالهم في طاعته، وإهلاكها في مرضاته، وأعطاهم سبحانه الجنة عوضًا عنها إذا فعلوا ذلك وهو عوض عظيم لا يدانيه المعوض ولا يقاس به» أ.هـ.

وفضل الشهادة، ومزايا أهلها تطفح بها النصوص من كتاب الله، وسُنَّة رسول الله -ﷺ-.

وفي هذا الحديث، في الروضة الخضراء في الشجرة العظيمة أعطاهم الله دارًا هي أفضل وأجمل من دار عامة المؤمنين والجزاء من جنس العمل، فيوم أن خرجوا بأنفسهم، وأرواحهم من أجل الله تعالى، وظفروا بذلك عن بقية المؤمنين، كان جزاءهم أن لهم دارًا : هي أرفع وأعلى مرتبةً من عامة المؤمنين، فلله درهم ما أعظم أجرهم، وهنيئًا لهم ذلك النعيم. فاللهم ارزقنا الشهادة في سبيلك.

أوصاف أهل البيوت في الجنان

(١) عباد الرحمن هم أهل الغرف في الجنان:

قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٣ -٧٦].

قال الإمام القرطبي (الجامع لأحكام القرآن ٣٧٧/٧) في قوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ﴾ خبر ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ في قول الزجاج على ما تقدم،، وهو أحسن ما قيل فيه، وما تخلل المبتدأ وخبره أوصافهم من التحلي والتخلي، وهي إحدى عشرة: التواضع، والحلم، والتهجد، والخوف، وترك الإسراف، والإقتار، والنزاهة عن الشرك، والزنا، والقتل، والتوبة، وتجنب الكذب، والعفو عن المسيء، وقبول المواعظ،

والابتهال إلى الله» أ.هـ.

فلقد وعد الله تعالى أهل هذه الصفات بالغرف في الجنة، والتكرم عليهم بالقصور العالية، والمنازل الرفيعة، إنهم عباد الرحمن المنسوبون إلى الله وحده نسبهم إلى ذاته، فهو الرحمن الذي علم أنهم أهل لرحمته، وأن رحمته تحيطهم عن يمين وشمال ومن فوقهم ومن تحتهم: ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ ﴾ [مريم: ٦١].

هؤلاء العباد الذين يئس الشيطان من أن يغويهم، أو يجد منفذًا للسيطرة عليهم: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

[ص:٨٢- ٨٣].

وقد رسم القرآن في هذه الآيات صفات عباد الرحمن، وضح فيها معالمهم، وصفاتهم، وجعلهم أنموذجًا يُقتدى بهم، ويتأسى بهم جميع المؤمنين. أتريد أن تكون من عباد الرحمن؟ أتريد أن تتصف بصفات عباد الرحمن قولاً وعملاً ؟، فما أكثر من يقول: أنا من عباد الرحمن، ولكن أفعاله تقول غير ذلك.

فإليك صفات عباد الرحمن الذين نالوا الغرف في الجنان:

الصفة الأولى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا ﴾:

الهون: هو الرفق والسكون، قال ابن العربي« أحكام القرآن ٣/ ٣٩٦ : «وذلك يكون بالعلم، والحلم، والتواضع. لا بالمدح، والكبر، والرياء، والمكر» أ.هـ.

وقال القرطبي(الجامع٣٦٥/٧):«يمشون على الأرض حلماء متواضعين، يمشون في اقتصاد والقصد والتؤدة، وحسن السمت من أخلاق النبوة،

وقال-ﷺ- :« **أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس في الإيضاع** »[(١)] رواه البخاري[(٢)].

إن صفة المشي لها عند الله قيمة لأنها تعبر عما في الإنسان من مشاعر وأخلاق، فالمتكبرون والمتجبرون لهم مشية ، والمتواضعون لهم مشية كل يمشي معبرًا عما في ذاته.

وعباد الرحمن يمشون مشية من يعلم أنه من الأرض خرج، وإلى الأرض يعود : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ [طه:٥٥].

النهي عن مشية المدح، والبطر، والاختيال :

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الإسراء:٣٧].

وفي وصية لقمان عَلَيْهِ السَّلَامُ لابنه: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾ [لقمان:١٨] [(٣)].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبي -ﷺ- قال: (**بينما رجل ممن كان قبلكم يتبختر يمشي في بردته قد أعجبته نفسه ، فخسف الله به الأرض ، فهو يتجلجل**[(٤)] **فيها إلى يوم القيامة**)[(٥)].

وفي مُسند أحمد عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول:

---

(١) الإيضاع: هو السير السريع.
(٢) أخرجه البخاري : (١٦٧١).
(٣) أصل المدح في اللغة : شدة الفرح والنشاط وإطلاقه على مشي الإنسان متبخترًا مشي المتكبرين لأن ذلك من لوازم شدة الفرح والنشاط عادة
(٤) أي : يغوص في الأرض ويضطرب في نزوله فيها، والجلجلة : حركة مع الصوت.
(٥) أخرجه مسلم :(٢٠٨٨).

(من تعظم في نفسه أو اختال في مشيته، لقي الله وهو عليه غضبان)[١].

ذم التمايت في المشي:

ليس معنى التواضع في المشي أن يمشي المؤمن متماوتًا منكسًا رأسه، فلقد كان رسول الله -ﷺ- أسرع الناس مشية، وأحسنهم، وأسكنهم، قال أبو هريرة رضي الله عنه: (ما رأيت أحسن من رسول الله -ﷺ- كأن الشمس تجري في وجهه، وما رأيت أحدًا أسرع في مشيته من رسول الله -ﷺ- كأنما الأرض تطوى له)[٢].

فكان في مشيته يرفع فيه رجله بسرعة ويمد خطوة، ويقصد سمته برفق وتثبت بدون عجلة، ويسرع إسراعًا لا يخل بالوقار، ورأت إحدى أزواج النَّبي -ﷺ- شبابًا يمشون متماوتين فقالت: من هؤلاء؟، قالوا: النساك الزهاد، فقالت: لقد رأيت أصحاب رسول الله -ﷺ- وما كانوا هؤلاء.

ورأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلًا يمشي رويدًا مطأطأً الرأس فقال: مالك أأنت مريض؟ قال: لا، فعلاه بالدرة، وأمره أن يمشي مشية الأقوياء.

فينبغي أن تكون المشية بعيدة عن التبختر والكبر، وفي ذات الوقت يعلو الماشي الوقار، والرجولة، وعدم التمايل، أو التمييع. والله تعالى أعلم.

الصفة الثانية: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾:

لقد هذب الإسلام أتباعه في التعامل مع الآخرين، وعلم المسلمين فن التعامل فما من مجال من المجالات إلا وبين لهم الأخلاق الشرعية التي يتعاملون بها مع الآخرين.

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم: (٥٨٠٦).
(٢) أخرجه الترمذي: (٣٦٤٨) والحديث فيه ضعف.

وفي هذه الآية أمر الله بالإعراض عن السفهاء، وأهل الفحش، والتفحش، فأرشد الله المسلم أن يدفعهم برفق ولين، ويخاطبهم خطابًا يسلمون فيه من الإثم، ومن مقابلة الجاهل بجهله.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(تيسير الكريم الرحمن : ٥٨)** : «وهذا مدح لهم، بالحلم الكثير، ومقابلة المسيء بالإحسان، والعفو عن الجاهل، ورزانة العقل الذي أوصلهم إلى هذه الحال» .

وفي غير ما آية يأمر المولى -عَزَّوَجَلَّ- بالقول الحسن، والدفع بالأحسن قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القصص:٥٥] ،وقال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الإسراء:٥٣].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فصلت: ٣٤].

فحسن الكلام مع الخصوم يطفئ عداوتهم، ويكسر شوكتهم.

الصفة الثالثة: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ :

بعد أن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ أخلاق عباد الرحمن مع الخلق، ذكر هنا أخلاقهم مع ربهم، وصلتهم به، من خلال الصلة بين العبد وربه وهي الصلاة: وبالتحديد هنا صلاة الليل أفضل الصلاة بعد الفريضة. يقفون فيها مخلصين لربهم، متذللين له كما قال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [السجدة: ١٦].

وقال تعالى: ﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الذاريات:١٧].

وقال تعالى: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر:٩].

وفي حال هؤلاء مع قيام الليل، والتهجد في الأسحار عجائب، فهاهو مسروق الهمداني تخبر عنه زوجته فتقول: ما كان مسروق يصبح ليلة من الليالي إلا وساقاه منتفختان من طول القيام، وكان إذا فرغ من صلاته يزحف كما يزحف البصير من الضعف.

وكانوا رحمهم الله يبكون عند الاحتضار أسفًا لفراق الصلاة ومن هؤلاء عبد الرحمن بن الأسود لما احتضر بكى، فقيل له: فقال: أسفًا على الصلاة والصوم ولم يزل يتلو حتى مات(١).

وتمنى ثابت البناني فقال: اللهم إن كنت أعطيت أحدًا الصلاة في قبره، فأعطني الصلاة في قبري، فيقال: إن هذه الدعوة استجيبت له، وأنه رئي بعد موته يصلي في قبره(٢).

الصفة الرابعة: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ ﴾:

إنها صفة الخوف من الله التي عشعشت في قلوب عباده المؤمنين، فأقبلوا يبتهلون إليه بأن يصرف عنهم عذاب النار. ومن دعائهم كذلك: ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾[آل عمران:١٦].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ

(١) سير أعلام النبلاء :(٥ / ١١).
(٢) سير أعلام النبلاء :(٥ / ٢٢٢).

﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء:٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [المعارج:٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الطور: ٢٥-٢٧].

قال إبراهيم التيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينبغي لمن لم يحزن أن يكون من أهل النار لأن أهل الجنة قالوا: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ فاطر:٣٤، وينبغي لمن لم يشفق أن يخاف ألا يكون من أهل الجنة؛ لأنهم قالوا: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [الطور:٢٦].

فذكر النار أطار عليهم نومهم، وأقضَّ مضاجعهم، وسلبهم راحتهم.

وقد كان الرسول -ﷺ- كثيرًا ما يستعيذ من النار، وكان أكثر دعائه -ﷺ- (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)[1].

الصفة الخامسة: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾.

الاعتدال مطلوب في كل شيء ومن ذلك الاعتدال في أمر النفقة فلا إسراف: وهو مجاوزة الحد في النفقة، ولا إقتار: وهو التضييق والبخل على الأهل المؤدي إلى التقصير في حقهم، وعدم كفايتهم. وبين هذا وذاك درجة الاعتدال، وخير الأمور أوسطها، فلا إفراط ولا تفريط، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء:٢٩].

ومن فقه الرجل اقتصاده في معيشته، والله عَزَّوَجَلَّ نهى في كتابه الكريم عن التبذير والإسراف فقال: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ

(١) أخرجه البخاري: (٦٣٨٩)، ومسلم: (٢٦٩٠) من حديث أنس بن مالك.

تَبۡذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الإسراء:٢٦].

والبخل على الأهل والأولاد طريق إلى الإثم فالنَّبي -ﷺ- يقول: **(كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت)** (١).

وفي رواية مسلم: **(كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوته)**(٢).

قال الحسن البصري: (ليس في النفقة في سبيل الله إسرافًا).

وقال غيره : السرف النفقة في معصية الله عَزَّوَجَلَّ .

فلا إسراف في بذل الخير، والإمساك عنه هو الإقتار بعينه قال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة:١٩٥]، والهلكة :هي الإمساك عن الإنفاق.

السادسة: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾:

ومن صفات عباد الرحمن البراءة من الشرك، والبعد عن دعوة غيره وعبادته، فلازم عبادة الرحمن أن يوحد تبارك وتعالى ويُخلص له في العبادة، فلا يجوز صرفها لغيره، أو إشراك معه غيره فيها.

ودعوة غير الله تعالى من أعظم ما ارتكب ابن آدم من الآثام: ﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان: ١٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء:٤٨].

وفي حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ في الصحيحين قال: **(قلت يا رسول**

(١) أخرجه أبو داود برقم : (١٦٩٢)، وهو في صحيح أبي داود للألباني برقم :(١٤٨٥).
(٢) أخرجه مسلم برقم :(٩٦٩).

الله: أي الذنب أعظم؟ قال :أن تجعل لله ندًا وهو خلقك) (١).

والشرك المخرج من ملة الإسلام ثلاثة أقسام:

١- شرك في الربوبية : وهو أن يجعل لغير الله تعالى معه نصيبًا من الملك، أو التدبير، أو الخلق، أو الرزق الاستقلالي.كاعتقاد أن مع الله إلها آخر يخلق ويدبر، ويرزق، ويتصرف بالكون وهوما يعتقد ه بعضهم بالأغواث، والأقطاب، أو بالأولياء، والأئمة.

٢- شرك في الألوهية: وهو اعتقاد أن غير الله يستحق أن يعبد ، أو صرف شيء من العبادة لغيره.كصلاة، وصيام ، ورجاء، وتوكل، وذبح، ونذر، ودعاء وغيرها لغير الله تعالى، واتخاذ وسطاء بين العبد وربه ، كما عنـد القبوريين : ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [الزمر:٣].

٣- شرك في الأسماء والصفات: وهو أن يجعل لله تعالى مماثلًا في شيء من الأسماء والصفات، أويصفه تعالى بشيء من صفات خلقه. ومن ذلك وصف بعض المخلوقين بصفات الكمال التي يتصف الله بها ، كمن ينسب لمخلوق ادعاء علم الغيب، والإسباغ عليه بوصف القدرة المطلقة وغير ذلك.

السابعة : ﴿ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ ﴾ **:**

مما جاءت به الشريعة الغراء حفظ الضروريات الخمس ، ومنها: النفس التي حرم الله إتلافها ، وسفك دمها فإنـه كبيرة من الكبائر، وعظيمة من العظائم. ولعظيم أمرها يخبرنا النّبي –ﷺ–**(أن أول ما يقضي بين الناس في الدماء)** (٢).

(١) أخرجه البخاري :(٧٥٢) ، ومسلم : (٨٦).
(٢) أخرجه البخاري :(٦٨٦٤) ، ومسلم : (١٦٧٨) عن ابن مسعود رضي الله عنه .

وقتل النفس التي حرم الله يشمل أمورًا:

١- قتل النفس (الانتحار): قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النساء:٢٩].

٢- قتل الغير من ولد أو غيره قال تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [الأنعام:١٤٠].

وقال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [المائدة: ٣٢].

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ **:(القول المفيد:١/٤٩٩):** «والنفس المحرمة أربعة أنفس، هي: نفس المؤمن، والذمي، والمعاهد، والمستأمن، بكسر الميم طالب الأمان».

وقوله: ﴿ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ كقتل النفس بالنفس وقتل الزاني المحصن، والمرتد عن دين الإسلام.

الثامنة: ﴿ وَلَا يَزْنُونَ ﴾:

الزنا فاحشة من الفواحش التي تنتهك العرض، وتخلط الأنساب،وفي كتاب الله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾[الإسراء: ٣٢].

وفي صحيح البخاري في حديث سمرة بن جندب الطويل قال: « فانطلقنا فأتينا على مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع فيه لغط وأصوات، قال: فاطلعنا فيه، فإذا فيه رجال ونساء عراة فإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم،

فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا -أي صاحوا-، فقلت: من هؤلاء ياجبريل؟، قال: هؤلاء الزناة والزواني» (١).

وشيوع الفاحشة في المجتمع سبب قطع الأواصر، وفشوا الأمراض، وقلة المال، وضنك المعيشة.

وفي سنن ابن ماجه أن رسول الله -ﷺ- قال: « **لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا**» (٢).

فتأمل في هذا الحديث ينبيك عن سبب انتشار الإيدز، والزهري، والسيلان، وأنفلونزا الخنازير، وأنفلونزا الطيور وغيرها من الأمراض التي أخافت العالم وأهلكته.

ثم ذكر الله عَزَّوَجَلَّ عاقبة الإصرار على هذه الذنوب فقال: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ ﴾.

[الفرقان: ٦٨-٦٩].

والوعيد بالخلود لمن فعلها كلها، أو أشرك بالله، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة:٧٢].

وأما القاتل والزاني فلا يتناولهما الخلود في النار ما داما على التوحيد والإيمان.

قال السعدي (تيسير الكريم الرحمن ص: ٥٨٧) : « ونص تعالى

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه ابن ماجه :(٤٠١٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم :(١٠٦).

على هذه الثلاثة لأنها أكبر الكبائر، فالشرك فيه فساد الأديان، والقتل فيه فساد الأبدان، والزنا فيه فساد الأعراض» أ.هـ.

واستثنى المولى عَزَّوَجَلَّ من هذا الوعيد التائبين إليه، المنيبين بين يديه فقال: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ٧٠ ﴾ [الفرقان: ٧٠].

التاسعة: ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ٧١ ﴾:

بعد ذكر الوعيد لمن وقع في تلك الذنوب يأتي باب الرجاء والبشارة لمن أقلع وتاب، ورجع وأناب.

وأرشد المولى عَزَّوَجَلَّ عباده إلى طريق النجاة من الخلود في النار والعذاب في بئس القرار، وبين أن التوبة مسلك ذلك، وطريقه الوحيدة.

والله يأمر في كتابه الكريم موجبًا على عباده التوبة والرجوع إليه فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا ﴾ [التحريم: ٨].

ورغب عَزَّوَجَلَّ بالتوبة فقال: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١ ﴾ [النور: ٣١].

وأخبرنا عن حبه للتائبين فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴾

[البقرة: ٢٢٢].

وقال تعالى: ﴿ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣ ﴾ [الزمر: ٥٣].

العاشرة: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾:

الزور كل باطل زُور وزُخرف ، وأعظمه الشرك بالله تعالى، وفي التنزيل كذلك : ﴿ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ [الحج:٣٠].

وفي الصحيحين عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: « **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ، الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، ألا وقول الزور ، ألا وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت**» (١).

وشاهد الزور قد ارتكب عظائم عديدة، وجرائم كثيرة، منها:

الكذب والافتراء قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [غافر:٢٨].

١-ظلم المشهود عليه في ماله ، أو عرضه ، أو روحه، أودمه.

٢-أعان الظالم على ظلمه، وخذل المظلوم فلم ينصره.

٣- إن أخذ مقابل زوره مالاً فهو آكل لما حرم الله تعالى، وماله سحت.

ومع هذه النصوص المحذرة، وبيان العواقب المدمرة لشاهد الزور إلا أنك ترى العجب العجاب في محاكم المسلمين من أناس نسوا الآخرة، وسوء الحساب لأهل هذه الصفات، فتراه يكذب ويفتري ويقسم الإيمان المغلظة أنه رأى وسمع وشهد وكله - كذب وزور-. بل والأعجب من ذلك - وإنها لإحدى الكبرى - وجود من يقف عند باب المحاكم يعرض نفسه ليشهد الزور مقابل دريهمات يشترطها.

أخرج الطحاوي في مشكل الآثار عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول

(١) أخرجه البخاري :(٥٩٧٦)، ومسلم : (٨٧).

الله –ﷺ– قال: (أمر بعبد من عباد الله أن يضرب في قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل ويدعو حتى صارت جلدة واحدة، فجلد جلدة واحدة، فامتلأ قبره عليه نارًا فلما ارتفع عنه أفاق. قال: على ما جلدتموني؟ قالوا: إنك صليت صلاة واحدة بغير طهور، ومررت على مظلوم فلم تنصره) (١).

فيا شاهد الزور ما بالك بمن نصر الظالم على المظلوم؟.

وورد في تفسير الزور في هذه الآية أقوال كثيرة كلها تصب حول المنكرات والمعاصي من غناء، وأعياد كفار وغيرها.. وجماع هذا كله أن الزور كما تقدم كله باطل وشر، ولذلك وصف الله عباده المؤمنين بعدها فقال: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾[الفرقان:٧٢].

قال الحسن: اللغو المعاصي كلها. فنزهوا أنفسهم،وأكرموها عن الخوض في الباطل.

قال القرطبي (تفسير: ٧/٣٧٥(: ﴿ كِرَامًا ﴾ معناه معرضين منكرين لا يرضونه، ولا يمالئون عليه، ولا يجالسون أهله أي مروا مر الكرام الذين لا يدخلون في الباطل» أ.هـ.

الحادية عشر: من صفات ساكني غرف الجنات: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ ﴾ :

وهذه أيضًا من صفات المؤمنين عباد الرحمن إحضار النفس والخشوع عند تلاوة القرآن والتأثر بآيات الله تعالى قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾

[الأنفال:٢].

(١) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار : (٤ / ٢٣١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم : (٢٧٧٤).

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر:٢٣]، وقال تعالى في وصفهم: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم:٥٨].

فهذا وصف الله لعباد الرحمن مع كتابه القرآن وآياته الكرام، يقابلونها بالقبول والافتقار إليها، والانقياد والتسليم لها، وتجد عندهم آذانًا سامعةً، وقلوبًا واعيةً، فيزدادوا بها إيمانهم، ويثبت بها يقينهم،وتُحدث لهم نشاطًا، ويفرحون بها سرورًا واغتباطًا، فلم يقابلوها بالإعراض عن تدبرها، والصمم عن سماعها، وصرف النظر والقلوب عنها، كما يفعل من لم يؤمن بها،ولم يصدق، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [التوبة:١٢٤-١٢٥].

الصفة الثانية عشر: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾:

إن صلاح الأولاد والزوجات مما يتمناه المؤمنون، ويبتهلون لربهم تبارك وتعالى ليرزقهم الذرية الصالحة.

قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: يعنون من يعمل بطاعة الله فتقر به أعينهم في الدنيا والآخرة.

وقال عكرمة: لم يريدوا بذلك صباحةً ولا جمالًا ولكن أرادوا أن يكونوا مطيعين.

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ص٥٨٧)**: «وإذا استقرأنا حالهم وصفاتهم، عرفنا من هممهم وعلو مراتبهم أنهم لا تقر أعينهم حتى يروهم مطيعين لربهم، عالمين عاملين، وهذا كما أنه دعاء لأزواجهم وذرياتهم في صلاحهم، فإنه دعاء لأنفسهم لأن نفعه يعود عليهم، ولهذا جعلوا ذلك هبة لهم، فقالوا: ﴿ هَبۡ لَنَا ﴾ بل دعاؤهم يعود إلى نفع عموم المسلمين لأن بصلاح من ذكره يكون سببًا لصلاح كثير ممن يتعلق بهم، وينتفع بهم». أ.هـ.

ودعوة الوالد لولده مستجابة فينبغي للوالد أن يوظفها في الخير، وألا يجعلها قذيفة على ولده يدمر بها حياته ومستقبله، فيدعو عليه بما لا ينبغي من الشر والهلاك وبما تعود تبعاته على الأسرة بأكملها، وفي التوجيهات النبوية من خير البرية -ﷺ-: **(لا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أنفسكم ، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجاب لكم)** رواه أبو داود عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ [(١)].

﴿ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾:

إن علو الهمة بلغت عند هؤلاء العباد مبلغها بدعائهم الله عَزَّوَجَلَّ أن يوصلهم إلى درجة عالية، وهي درجة الصديقين، والخلص من عباد الله الصالحين، وهي درجة الإمامة في الدين، وأن يكونوا قدوة للمتقين في أقوالهم وأفعالهم يقتدي بهم.

وكان ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يقول في دعائه: «اللهم اجعلنا من أئمة المتقين». رواه مالك في موطئه[(٢)].

قال العلامة ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأحبوا أن تكون عبادتهم متصلة بعبادة

---

(١) أخرجه أبو داود برقم: (١٥٣٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٧٢٦٧).
(٢) (١ / ٢١٩)

أولادهم وذرياتهم ، وأن يكون هداهم متعديا إلى غيرهم بالنفع وذلك أكثر ثوابًا، وأحسن مآءبًا ». أ.هـ.

قال إبراهيم النخعي: لم يطلبوا الرياسة بل بأن يكونوا قدوة في الدين.

ودرجة الإمامة في الدين لا تنال إلا بالصبر واليقين قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

[السجدة: ٢٤].

ولما كانت هممهم ومطالبهم عالية، كان الجزاء من جنس العمل، فجازاهم بالمنازل العاليات ، والدرجات الرفيعات، والغرف الشامخات في جنة رب الأرض والسموات ؛ فقال تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ ﴾ [الفرقان: ٧٥].

أهل التقوى وغرفهم في جنة المأوى

قال تعالى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٌ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٌ مَّبۡنِيَّةٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الزمر: ٢٠].

إن التقوى زاد إلى الجنة، وفي كثير من آيات القرآن الكريم ذكر الله التقوى، فأمر به وبين ثماره، والطريق الموصل إليه ومن الآيات التي أمرت بالتقوى، ورغبت فيه:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ ﴾[الأحزاب: ٧٠].

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحشر: ١٨].

وقد جعل الله التقوى شرطًا في حصول الإيمان فقال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [المائدة: ٥٧].

والتقوى وصية الله للأولين والآخرين قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا ﴿١٣١﴾ ﴾ [النساء: ١٣١].

وجعل الله التقوى من خير ما يتزود به الإنسان فقال سبحانه: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾[البقرة: ١٩٧].

والميزان الشرعي الذي جعله الله بين عباده في تفاضلهم هو ميزان التقوى فقال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات: ١٣].

حقيقة التقوى:

قال ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في معنى قوله تعالى: ﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾: «أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر»[(١)].

وقال سهل التستري: من أراد أن تصح له التقوى فليترك الذنوب كلها.

خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقوى
واصنع كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

الأسباب الباعثة على التقوى:

لقد جاءت النصوص باعثة على التقوى وحاثة عليه، وهي كذلك لم تترك ذكر الأسباب الموصلة إليه، والباعثة عليه، ومن هذه الأسباب:

١- كثرة العبادة: قال تعالى: اعبدوا ربكم الذي خلقكم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[البقرة: ٢١].

٢-التمسك بهذا الدين والجدية في التعامل مع شرع الله تعالى قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذۡكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [البقرة:٦٣].

٣-تحكيم شريعة الله، وتطبيق حدوده، قال تعالى: ﴿ وَلَكُمۡ فِى ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [البقرة:١٧٩].

٤-الصيام، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البقرة:١٨٣].

(١) أخرجه الحاكم حديث: (٣٠٩١)، وابن أبي شيبة في مصنفه: (٣٣٨٨٣).

٥- تعظيم شعائر الله قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج:٣٢] .

٦- العدل وإقامته في المجتمع والأفـراد: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المائدة:٨].

٧- التحلي بصفة العفو قال تعالى: ﴿ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ ﴾

[البقرة: ٢٣٧].

٨- توقير الرسول-ﷺ-، وتعظيمه وإجلاله قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحجرات: ٣].

وغض الصوت عند رسول الله-ﷺ-يشمله حيًا وميتًا، ويكون بعد موته باحترام سُنَّته، وانتهاج طريقته، وعدم مجاوزة هديه إلى غيره من زبالات الأذهان، ونُخالات الأفكار، والمذاهب والآراء المنحرفة.

واعلم أخي الكريم أن جميع الطاعات سبب موصل إلى تقوى الله تعالى، وجميع المعاصي معوقات للحصول على التقوى، قال طلق بن حبيب : التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله، تخاف عقاب الله.

ثمار التقوى:

جعل الله تعالى ذكره للتقوى ثمرات عديدة، وفوائد جليلة مزيدة. فمن ذلك:

البشرى بما يسر في الدنيا والآخرة، قال تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟

يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٣-٦٤].

٢-تكفير الذنوب، وتعظيم أجر المتقين، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾ [الطلاق: ٥].

٣-تيسير أمر المتقين قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾

[الطلاق:٤].

٤-تفريج الكروب، والرزق الرغيد قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[الطلاق: ٢- ٣].

٥-حب الله للمتقين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤].

٦-المتقون هم أهل الفلاح قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[البقرة: ١٨٩].

٧-الفوز بالجنة: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الحجر:٤٥].

٨-النجاة من النار قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾ [الليل: ١٧].

٩-المتقون هم أولياء الله قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾

[الجاثية: ١٩].

١٠- وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٣].

نسأل الله أن يجعلنا من عباده المتقين، وأن يهدينا إلى طريق التقوى إنه سميع مجيب.

الإيمان وعمل الصالحات

سبيل إلى الأمن في غرف الجنات

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧ ﴾[سبأ:٣٧].

إن للإيمان مع العمل الصالح منزلة عظيمة في شريعة المولى عَزَّوَجَلَّ ففيهما مضاعفة الجزاء، وتكثير الأجور، والأمن والأمان في غرف الجنان. والإيمان والعمل الصالح قرناء فلا إيمان بلا عمل، ولا عمل بلا إيمان، فهما متلازمان تلازم الروح للجسد ومن مقتضيات الإيمان أن ينبثق من القلب في صورة العمل الصالح.

قال الحسن البصري - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : «الإيمان كلام وحقيقته العمل، فإن لم يُحقق القول بالعمل لم ينفعه القول».

والنصوص في القرآن الكريم طافحة في بيان ملازمة الإيمان للعمل الصالح، وذكر فضلهما وإليك بعضًا منها:

١- النعيم المقيم :

قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥ ﴾ [البقرة: ٢٥].

ففي هذه الآية بشارة لمن آمن وعمل صالحًا بألوان من النعيم في جنات العزيز الكريم، يتقلب في جنباتها ويأكل من ثمارها في خلود أبدي،وبقاء سرمدي.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[البقرة : ٨٢].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾

[النساء : ٥٧].

٢- أمان في الدنيا والآخرة:

ومن كرم الله تعالى على أهل الإيمان، والعمل الصالح أن وعدهم بالأمان في الدارين قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ ﴾

[البقرة : ٢٧٧].

٣- المغفرة والأجر العظيم:

وعد الله أهل الإيمان والعمل الصالح بغفران ذنوبهم، والتجاوز عن سيئاتهم،وزيادة على هذا الجزاء المضاعف فضلًا منه ورحمة من لدنه قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾

[المائدة : ٩].

٤- الهداية وسلوك درب الحق:

يمن الله تعالى على أهل الإيمان والعمل الصالح، بسبب ما قدموه بالهداية في دار الدنيا إلى الصراط المستقيم وفي الصراط المستقيم، وفي الآخرة إلى الصراط الموصل إلى جنات النعيم.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس:٩-١٠] .

٥- سيجعل لهم الرحمن وُدًا:

وأهل الإيمان والعمل الصالح هم من يجعل الله تعالى لهم المحبة والمودة في قلوب عباده المؤمنين بل وتتجاوز هذه المحبة إلى ملائكة الله الأبرار بحب عباده المخلصين الصادقين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم : ٩٦].

٦- الرزق الكريم:

إن الله هو الرزاق وبيده مقاليد السموات والأرض وخزائنها، فلما صدقه أهل الإيمان وأخلصوا له في أعمالهم وعدهم بالرزق الحسن الكريم ؛قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾[الحج : ٥٠].

٧-التمكين في الأرض:

للتمكين شروطه التي يجب على المسلمين أن يوفوا بها، وما أحوجنا في هذا الزمان أن نقوم بها، وننهض لتطبيقها، فلن يأتي النصر، ولن يكون الاستخلاف بالقعود عن القيام بالأسباب .

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

٨-يبدل الله سيئاتهم حسنات:

من لاذ بالله حماه، ومن تاب إليه أكرمه وأعطاه،ومن عمل صالحا أثابه وجزاه. وهذا من فيض عطاء الله وعظيم مغفرته،ثم ما أعظمه جل وعلا أن يتكرم بجوده وإحسانه لأن يبدل سيئات المؤمنين التائبين العاملين إلى حسنات. قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان : ٧٠].

فاللهم ارزقنا حقيقة الإيمان، واجعلنا من عبادك الصالحين.

مساكن في جنة المعاد، لمن آمن بالله ورسوله وأقام الجهاد

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ [الصف: ١٠-١٢].

لا يخفى على المسلم أهمية الإيمان، وعظم شأنه، وكثرة عوائده، وتعدد فوائده، على أهله وذويه، بل إن كل خير في الدنيا والآخرة متوقف على تحقق الإيمان الصحيح، فهو أجل المطالب، وأهم المقاصد والرغائب، وأنبل الأهداف، وبالإيمان يحيا العبد حياة طيبة سعيدة، وينجو من المكاره والشرور والشدائد، وينال ثواب الآخرة ونعيمها المقيم، وخيرها الدائم المستمر الذي لا يحول ولا يزول.

قال تعالى: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ﴿١٩﴾ ﴾ [الإسراء: ١٩] .

وقد دلت نصوص القرآن والسُّنَّة على أن الإيمان يقوم على أصول ستة: وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، فلا إيمان لأحد إلا بالإيمان بها، وهي أصول مترابطة متلازمة، لا ينفك بعضها عن بعض، فالإيمان ببعضها مستلزم الإيمان ببقيتها والكفر ببعضها

كفر ببقيتها كذلك، وإليك تفاصيلها، وشيئًا من فقهها.

١- الإيمان بالله تعالى:

الإيمان بالله: بربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته هو الركن الأساسي الذي تبنى عليه بقية الأركان. والإيمان بالله أن تؤمن بربوبيته تعالى، وأنه الرب الخالق المالك المدبر لجميع الأمور.

قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥١].

وتؤمن بإلوهية الله تعالى، وأنه الإله الحق وكل معبود سواه باطل، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَـٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾ [لقمان: ٣٠].

وتؤمن بأسمائه وصفاته، وأنه له الأسماء الحسنى، والصفات العلى من غير تكييف، ولا تمثيل، ولا تعطيل، ولا تأويل قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

فتؤمن بوحدانيته في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته. قال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَـٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾

[مريم:٦٥].

ومن الإيمان بالله أن تؤمن بأنه لا تأخذه سِنَة ولا نوم وأنه عالم الغيب والشهادة، وتؤمن بأنه تعالى على عرشه عال على خلقه، يعلم أحوالهم، ويسمع أقوالهم، ويرى مكانهم، ويدير أمورهم، يرزق الفقير، ويجبر الكسير، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، وهو على كل شيء قدير، ومن الإيمان بالله الصبر على أقداره، ومن الإيمان بالله الإيمان بما أوجبه على عباده وفرضه عليهم.

من ثمرات الإيمان بالله تعالى:

١- الإيمان بالله يثمر للعبد محبة الله، وتعظيمه، الموجبين للقيام بأمره، واجتناب نهيه، وإذا قام العبد بذلك نال بهما كمال السعادة في الدنيا والآخرة.

٢- الإيمان بالله يُنشئ في النفس الأنفة والعزة، لأنه يعلم أن الله هو المالك الحقيقي لكل ما في هذا الكون، وأنه لا نافع ولا ضار إلا هو، وهذا العلم يغنيه عن غير الله، وينزع من قلبه خوف سواه، فلا يرجو إلا الله ولا يخاف سواه.

٣- الإيمان بالله يُنشئ في نفسه التواضع، لأنه يعلم أن ما به من نعمة فمن الله، فلا يغره الشيطان، ولا يبطر، ولا يتكبر، ولا يزهو بقوته وماله.

٤- إن الإيمان بالله يربي في الإنسان قوة عظيمة من العزم والإقدام، والصبر والثبات والتوكل حينما يضطلع بمعالي الأمور في الدنيا ابتغاء مرضاة الله، ويكون على يقين تام أنه متوكل على ملك السموات والأرض، وأنه يؤيده ويأخذ بيده، فيكون راسخًا رسوخ الجبال في صبره وثباته وتوكله.

الإيمان بالرسول -ﷺ-:

من مقتضيات الإيمان بالله : الإيمان برسوله-ﷺ-وفي هذا يقول تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾

[آل عمران:٣١].

فجعل المولى عَزَّوَجَلَّ اتباع رسوله والإيمان به طريقًا لمحبته، وغفران الذنوب والمعاصي. وجعل الله عَزَّوَجَلَّ في هذه الآية طاعة رسوله-ﷺ-هي عين طاعته تعالى قال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء:٨٠].

وجاء في تفسير الآية : أن أقوامًا من اليهود، والنصارى، وكفار قريش زعموا أنهم يحبون الله تعالى فأنزل الله هذه الآية اختبارًا لهم، والله عَزَّوَجَلَّ يأمر عباده المؤمنين بالإيمان برسوله-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قال تعالى: ﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ [الحديد:٧].

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء : ١٣٦].

وجعل اتباع النَّبي-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-والإيمان به طريقًا للهداية فقال تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف : ١٥٨].

ومن الصادقين المذكورين في كتاب الله الذين آمنوا برسوله-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات: ١٥].

وقال تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾

[التغابن:٨].

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

[الحديد: ٢٨].

فالإيمان بالله ورسوله، طريق لكل خير، وهو نور للمسلم في ظلمات الحياة وتخبطاتها.

ومن الإيمان بالرسول -ﷺ- تصديقه فيما أخبر عن الأمم السابقة، وفيما سيأتي من أمور لاحقة، فهو الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ ﴾[النجم:٣-٤].

ومن الإيمان بالرسول طاعته فيما أمر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، فطاعته من طاعة الله فريضة قال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ ﴾ [الحشر:٧].

والإيمان بالرسول -ﷺ- هو طريق إلى الجنة، فلن يدخل عبد الجنة إلا بالإيمان به وتصديقه -ﷺ- وطاعته ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله -ﷺ- قال: (**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله؟ ومن يأبى؟ ، قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**) [(١)].

وقد أقسم النَّبي -ﷺ- على دخول النار لكل من لم يؤمن به ممن سمع وعلم به، -ﷺ- ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله -ﷺ- قال: « **والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت، ولم يؤمن بالذي أرسلت به ؛ إلا كان من أصحاب النار**».[(٢)]

فاللهم إنا نسألك إيمانًا صادقًا ، وعملًا متقبلًا.

الجهاد في سبيل الله تعالى:

الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام، ورتبته في أعلى شعب الإيمان، به تعلو الكلمة، وتعز الأمة، وتُحمى البيضة[(٣)] وتصان الحرمات، وتحمى الديار، ويقهر الأعداء.

---

(١) أخرجه البخاري : (٧٢٨٠).
(٢) أخرجه مسلم : (١٥٣).
(٣) البيضة : مجتمع القوم وموضع سلطانهم (النهاية البيض).

بالجهاد يتم إقرار الحق في نصابه، ويُرد البغي والظلم والطغيان، ويُكافح الشر والكيد والعدوان، الجهاد في سبيل الله هو التجارة المنجية، والصفقة الرابحة، والبضاعة المبشرة، ويحوز أهله المخلصون من المنازل أرفعها، ومن المكانة أعظمها، ومن الدرجات أعلاها، فهم الأعلون في الدنيا والآخرة، ولقد حظيت فريضة الجهاد في هذا الدين بالعناية والاهتمام، فعشرات الآيات الكريمة، ومئات الأحاديث الصحيحة الشريفة كلها تحث على الجهاد، وتُرغب فيه، وتبيّن ما لأهله من الأجر والمثوبة في الآخرة، والعزة والنصر في الدنيا. كما جاء بالوعيد الشديد على من ركنوا إلى الدنيا، واثاقلوا إلى الأرض، وعطلوا هذه الفريضة ففي سنن أبي داود عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: **(من لم يغزُ، أو يجهز غازيًا، أو يخلف غازيًا في أهله بخير، أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة)**(١).

وفي مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(من مات ولم يغزُ، ولم يحدث نفسه بالغزو، مات على شعبة من نفاق)** (٢).

وما ذلكم إلا لما يسببه ترك هذه الفريضة من تسلط الأعداء، وتحكمهم في الأمة، يقتلون أبناءها، ويرملون نساءها، وييتمون أطفالها، ويحتلون ديارها، ويستبيحون حرماتها، ويعبثون بمقدساتها ومقدراتها، ولا يعرفون فيها إلًّا (٣) ولا ذمة (٤) ، ولا يرعون عهدًا ولا حرمة ، فيعم الذل ، وتسود المهانة ، والله عَزَّوَجَلَّ يقول : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨ ﴾ [المنافقون:٨].

(١) رواه أبو داود : (٢٥٠٣)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود برقم :(٢٢٦١).
(٢) أخرجه مسلم : (١٩١٠).
(٣) الإل : القرابة.
(٤) الذمة : العهد.

ومن تعظيم مكانة الجهاد في هذا الدين، ومكانة أهله، وعلو مكانتهم في الدنيا والآخرة، أن الله قد أعد للمجاهدين في سبيله الدرجات العُلا من الجنة، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: « **إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض** » [(١)].

ولن يرتفع الذل عن هذه الأمة إلا برفع راية الجهاد في سبيل الله فما عزت الأمة، وسادت في كل قرونها وأعصارها إلا برفع راية الجهاد في سبيل الله، ولا ذلت وضعفت مكانتها، وانتهكت حرماتها إلا لما ضيعت فريضة الجهاد وتركت في سبيل الله واجب الاستشهاد، وإذا رفعت الأمة علم الجهاد، فلن يبقى للظلم مكان في البلاد، ولا بين العباد[(٢)].

وكما أن الجهاد يكون بالنفس فكذلك هو بالمال كما دلت عليه هذه الآية. [الصف:١١] .

وفي سنن أبي داود عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: (**جاهدوا المشركين بأموالكم، وأنفسكم، وألسنتكم**) [(٣)].

فيجب على المسلم أن يكون مجاهدًا في سبيل الله، مستفرغًا الطاقة لإعلاء كلمة الله عَزَّوَجَلَّ بالقلم واللسان، بالسيف والسنان، بالقلب والجنان. بل بكل المشاعر والأحاسيس، يجب على المسلم أن يكون مجاهدًا في سبيل الله بنفسه، وماله، ولسانه، وقلبه، وجنانه.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ

(١) أخرجه البخاري : (٧٤٢٣).
(٢) انظر : (كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة) عبد الرحمن السد يس ص : ٢٨٦ - ٢٩٥.
(٣) أخرجه أبو داود في سننه : (٢٥٠٤) وصححه الألباني في صحيح أبي داود:(٢٢٦٢).

جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾ [التحريم: ٩].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨].

مراتب الجهاد:

أولها: جهاد النفس على العلم النافع، والعمل الصالح، وهو نقطة البداية لجهاد الأعداء.

ثانيها: جهاد الشيطان على دفع ما يُلقي من الشهوات والشبهات.

ثالثها: جهاد الكفار.

رابعها: جهاد المنافقين، وأرباب الظلم، والبدع، والمنكرات[١].

(١) زاد المعاد: (٣/ ١٠٩).

من بني لله بيتًا في الدنيا له مثله في الأخرى

عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «**من بنى مسجدًا قال بكير: حسبت أنه قال: يبتغي به وجه الله، بنى الله له مثله في الجنة**».(١)

لقد عظم الله -عَزَّ وَجَلَّ- شأن المساجد، ورفع منزلتها ودرجتها، فهي المكان الذي جعله الله مهبط رحمته، ومنزل ملائكته.

والمساجد أحب البقاع إلى الله تعالى، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (**أحب البلاد إلى الله تعالى مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها**)(٢).

والسعي إلى المساجد سعي إلى رفع الدرجات، وتكفير الخطايا والسيئات، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: (**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات**، قالوا: بلى يا رسول الله، **قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط**)(٣).

والمشاؤون إلى المساجد في ظلم الليل وغسق الظلام. بشرهم النَّبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال: (**بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**)(٤).

وقد أمر النَّبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ببناء المساجد، وتنظيفها، وتطييبها، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: (**أمر رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أن تُتخذ المساجد في الدور، وأن تُطهر وتطيب**).(٥)

(١) أخرجه البخاري: (٤٥٠)، ومسلم: (٥٣٣).
(٢) أخرجه مسلم: (٦٧١).
(٣) أخرجه مسلم: (٢٥١).
(٤) أخرجه الترمذي: (٢٣١)، وأبو داود: (٥٦١) كلاهما من حديث يزيد، الأسلمي، ورواه ابن ماجه: (٧٨١) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (٣١٥).
(٥) أخرجه الترمذي: (٥٩٤)، وأبو داود: (٤٥٥)، و ابن ماجه: (٥٩٤)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (٢٧٩).

والدور قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **:** هي المحلات والأرياض، دار بني عبد الأشهل، ودار بني النجار تريد محلة كل طائفة منهم).

وقال العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(الثمر المستطاب) ١/٤٤٧:** « ويجب بناء المساجد في كل قرية أو محلة لا مساجد فيها وهم بحاجة إليها ، فقد أمر- ﷺ-ببناء المساجد في الدور، يعني في المحال التي فيها الدور». أ.هـ.

من خرج إلى المسجد كان في ضمان الله تعالى، وأعد له نزلًا في جنة المأوى، ونال أجر الحاج المحرم.

فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله-ﷺ-: « **من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزلا في الجنة كلما غدا أو راح**» [١].

وعن أبي أمامه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله-ﷺ-قال: « **ثلاثة كلهم ضامن على الله: رجل خرج غازيا في سبيل الله فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة، أو يرده بما نال من أجر أو غنيمة، ورجل راح إلى المسجد فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة، أو يرده بما نال من أجر، ورجل دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله**»[٢].

وعن أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله-ﷺ-قال: (**من خرج من بيته متطهرًا إلى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاج المحرم، ومن خرج إلى تسبيح الضحى، لا ينصبه إلا إياه فأجره كأجر المعتمر، وصلاة على إثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين**).[٣]

وفي حديث السبعة الذين يظلهم الله : (**ورجل قلبه مُعلق بالمسجد**)، ما أن

(١) أخرجه البخاري :(٦٦٢)، ومسلم : (٦٦٩).
(٢) أخرجه أبو داود : (٢٤٩٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع : (٣٠٤٨).
(٣) أخرجه أبو داود : (٥٥٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٢٨).

يخرج منه إلا ويهفو فؤاده إليه، كسمكة خرجت من الماء، أو طائر ترك عشه، فلا يرى راحته ، ولا تطمئن حياته إلا في ظل المسجد، وتحت سقفه الدافئ أحب بيت الله لحب الله لها.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: **(سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه)** (١).

والمسجد بيت للمؤمن، يسكن إليه قلبه، ويطمئن إليه فؤاده ولبه، فهو مسكن قلبه وراحته، وفي حديث سلمان أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: « **المسجد بيت كل مؤمن** » (٢).

وقد كان -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- متعلقًا قلبه بالمسجد ومن ذلك أنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **(كان إذا صلى الغداة جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس)** (٣).

وبناء المساجد صدقة جارية يجري للعبد أجرها بعد موته فتذهب دنياه بما فيها، ويبقى رفيقه في آخرته ما قدمه بين يديه من خير أو شر، ومن الخير الذي يُدّر خيره، وتدوم حسناته وأجره ، بناء المساجد وتشييدها لوجه الله تعالى.

فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **سبع يجري للعبد أجرهن، وهو في قبره بعد موته: من علَّم علماً ، أو أجرى نهرًا ، أو حفر بئرًا أو غرس**

(١) أخرجه البخاري : (٦٦٠)، ومسلم :(١٠٣١).
(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية : (٨٤٣٤)، وصححه الألباني صحيح الجامع :(٦٥٧٨).
(٣) أخرجه مسلم : (٦٧٠).

نخلًا، أو بنى مسجدًا، أو ورث مصحفًا، أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته»[١] .

فضل الجماعة في المسجد:

عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « **من صلى العشاء في جماعة، فكأنما قام نصف ليلة ، ومن صلى الصبح في جماعة ، فكأنما صلى الليل كله»**[٢] .

وعند الترمذي عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله –ﷺ– قال: « **من صلى لله أربعين يوما في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتب له براءتان : براءة من النار ، وبراءة من النفاق»** [٣] .

وجوب الجماعة في المسجد وإتيانها إلا من عذر:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتى النَّبي –ﷺ– رجل أعمى ، فقال يا رسول الله : إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فسأل رسول الله –ﷺ– أن يرخص له فيصلي في بيته فرخص له، فلما ولى دعاه، فقال: « **هل تسمع النداء بالصلاة، فقال: نعم، قال: فأجب»** [٤] .

أين نحن من هؤلاء؟!:

ذكر الهيثمي في « مجمع الزوائد» ٢/ ٤١ بإسناد حسن « أن الصحابي الجليل الحارث بن حسان تزوج في ليلة من الليالي فحضر صلاة الفجر مع الجماعة فقيل له : أتخرج وإنما بنيت بأهلك في هذه الليلة؟ فقال: والله إن امرأة تمنعي

(١) أخرجه أبو داود في كتاب (المصاحف) : (٧٠٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء : (٢٧٠٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم :(٣٦٠٢).
(٢) أخرجه مسلم : (٦٥٦).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٤١)، وصححه الألباني في سلسلته الصحيحة:(١٩٨٩).
(٤) أخرجه مسلم : (٦٥٣).

من صلاة الغداة في جمع لامرأة سوء».

وكان أبو عبد الرحمن السلمي يُحمل وهو مريض إلى المسجد[١].

وقال ابن جريج: «كان المسجد فراش عطاء عشرين سَنة، وكان من أحسن الناس صلاة»[٢].

ومنهم من مات وهو في المسجد منهم حماد بن سلمه -رحمه الله- قال عنه يونس المؤدب: مات حماد بن سلمه في الصلاة في المسجد[٣].

وقال حاتم الأصم: «فأتتني الصلاة في الجماعة، فعزاني أبو إسحاق البخاري وحده، ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا»[٤].

قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النور: ٣٦-٣٨].

كلمات من نور:

* المساجد بمآذنها السامقة رمزًا لعلو هامة المسلم، وشموخه على الزمان والمكان.

* هي المهابط لرحمة الله ورضوانه على ظهر هذا الكوكب الذي تئنت أجواؤه بخطايا البشرية.

---

(١) المصنف لأبن أبي شيبة: (١/ ٣٥٠).
(٢) سير أعلام النبلاء: (٥/ ٨٤).
(٣) سير أعلام النبلاء: (٧/ ٤٤٤).
(٤) الإحياء: (١/ ١٧٧).

* المساجد تشهد تربتها كل يوم خمس مرات الجباه الساجدة الضارعة لبارئها، والأصلاب الراكعة المنحنية على التسبيح لخالقها عَزَّوَجَلَّ .

* يخلع الإنسان أرسانه على أبوابها، ويجد السكينة والطمأنينة بين رحابها.

* المسجد هو تصحيح للعالم الذي يموج من حوله ويضطرب.

* من هذه المساجد ينطلق نشيد السماء العلوي المقدس « الله أكبر» نداء المساجد من فوق هامات المآذن حين تصبح، وحين تظهر، وحين تمسي.

* هنا في المسجد يتلقى القلب الآيات والعظات كقلب الشجرة يتناول الماء ويكسوها منه(١).

(١) انظر كتاب(ترطيب الأفواه بذكر من يظلهم الله) للدكتور العفاني:(٢- ٣ / ٣٢٥) المجلد الأول.

ولسورة الإخلاص دورٌ في بناء الأساس

عن معاذ بن أنس الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: « من قرأ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ **حتى يختمها عشر مرات، بنى الله له قصرًا في الجنة**» (١).

هذه السورة المباركة أخلصت لذكر أوصاف الرحمن، ونعوت كماله وجلاله، ولم يصح في فضل سورة ما صح في فضلها. وفي هذه السورة إثبات أحديته، وصمديته، فهو أحد لا كفء له، وصمد لا ولد ولا والد له. وسورة الإخلاص سورة مكية.

سبب نزولها:

عن أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن المشركين قالوا لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « انسب لنا ربك فأنزل الله ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ ﴾ والصمد الذي لم يلد ولم يولد لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت ولا شيء يموت إلا سيورث، وإن الله عَزَّ وَجَلَّ لا يموت ولا يورث. ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ قال: لم يكن له شبيه، ولا عدل، وليس كمثله شيء» (٢).

تفسيرها:

يقول الله تعالى في هذه السورة ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ يعني هو الواحد الأحد الذي لا نظير له، ولا وزير ولا نديد، ولا شبيه ولا عديل. قال العلامة ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «التفسير ٤/ ٦٠٩» : «ولا يُطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله - عَزَّ وَجَلَّ - لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله» أ.هـ.

(١) أخرجه أحمد :(١٥٣٠٩)، وصححه الألباني في الصحيحة :(٥٨٩).

(٢) أخرجه الترمذي : (٣٣٠٤)، وقال الألباني : حسن دون قوله : (والصمد الذي...) ظلال الجنة : (٦٦٣).

فيجب أن يعلم هؤلاء المشركون أن الله عَزَّوَجَلَّ واحد لا شريك له في الكون، ولا إله غيره، ولا معبود سواه فـ ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٢] ولا خالق إلا هو، ولا رب سواه[1].

﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ ﴾: أي الذي تصمد إليه الحاجات ،كما قال عَزَّوَجَلَّ : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل: ٥٣]، وهذا تفسير ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا .

وقال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الصمد: هو السيد الذي قد انتهى سؤدده في أنواع الشرف والسؤدد.

وقال أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : هو المستغني عن كل أحد، المحتاج إليه كل أحد.

وقال الحسن وعكرمة والضحاك وابن جبير: الصمد: المصمت الذي لا جوف له.

ورجح الإمام القرطبي القول الأول كما في تفسيره « ١٠/ ٦٠٨».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(التفسير ٤/٦١٠) :** « وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب السُنَّة له بعد إيراده كثيرًا من هذه الأقوال في تفسير الصمد، وكل هذه صحيحة وهي صفات ربنا عَزَّوَجَلَّ هو الذي يصمد إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهى سؤدده، وهو الصمد الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه، وقال البيهقي نحو ذلك». أ.هـ.

﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ ﴾ :أي ليس له ولد، ولا والد، ولا صاحبة.

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ كما ولدت مريم ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ ﴾

(١) قال القرطبي (التفسير (١٠ / ٦٠٧) : (وأصل «أحد» وحدُ قلبت الواو همزة ، ومنه قول النابغة: بذي الجليل على مستأنس وحد) أ.هـ.

كما وُلد عيسى وعُزير.

وفي هذه الآية رد على اليهود والنصارى الذين نسبوا إلى الله الولد فقالت اليهود: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾، وقالت النصارى: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا: «﴿وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم: ٨٨-٩٥].

وفيها رد على كفار قريش الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله. قال -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧].

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾: أي لم يكن له قريب، ولا نسيب، ولا صهر، ولم يكن له شبيه، ولا مثيل، ولا نظير، ولا كفوًا، فلا يكافئه أحد سبحانه وتعالى »[1].

الأحاديث الواردة في فضل سورة الإخلاص:

تقدم معنا بيان أنه لم يصح في فضل سورة ما صح في فضل هذه السورة المباركة الكريمة، وفي سُنَّة المصطفى -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عدد من الأحاديث التي تبين بجلاء، وتذكر بوضوح فضائل سورة الإخلاص، فدعني أحلق بسويداء قلبك، وخطرات فكرك إلى هذه الواحة الغناء في سُنَّة النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خير الأنبياء.

---

(١) انظر تفسير القرطبي: (١٠ / ٦٠٩٠-٦٠٧)، وتفسير ابن كثير: (٤ / ٦٠٩ - ٦١٠)، وتفسير الربانيين لعموم المؤمنين (تفسير جزء عم) لشيخنا المحدث مصطفى العدوي حفظه الله (٣٠٦ - ٣٠٩).

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ تعدل ثلث القرآن:

ففي صحيح البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا سمع رجلًا يقرأ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ يرددها فلما أصبح، جاء إلى النَّبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فذكر له ذلك فكأن الرجل يتقالها، فقال رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **(والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن)**[١].

وعن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النَّبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: (أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن، قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن، قال: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تعدل ثلث القرآن)[٢].

وفي رواية لمسلم : (إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ جزءًا من أجزاء القرآن).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النَّبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: « احشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن، فقرأ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ثم دخل، فقال: بعضنا لبعض إني أرى هذا خبرًا جاءه من السماء فذلك الذي أدخله، ثم خرج نبي الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال: إني قلت لكم سأقرأ عليكم ثُلث القرآن ألا إنها تعدل ثلث القرآن».

قال الإمام القرطبي (التفسير: ٦٠٩/١٠): « قال بعض العلماء: إنها تعدل ثلث القرآن لأجل هذا الاسم، الذي هو « الصمد» فإنه لا يوجد في غيرها من السور، وكذلك « أحد» وقيل :إن القرآن أنزل أثلاثًا، ثُلثا منه أحكام، وثُلثا منه وعد ووعيد، وثلثًا منه أسماء وصفات، وقد جمعت ﴿ قُلْ هُوَ

---

(١) أخرجه البخاري : (٧٣٧٥)، ومسلم : (٨١٣).
(٢) أخرجه مسلم : (٨١١).

﴿ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ أحد الأثلاث : وهو الأسماء والصفات، ودل على هذا التأويل ما في صحيح مسلم من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «إن الله عَزَّوَجَلَّ جزأ القرآن أجزاءً، فجعل ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ جزءًا من أجزاء القرآن» وهذا نص، وبهذا المعنى سميت سورة الإخلاص، والله أعلم.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير جزء عم :(٣٥٥):

«لكنها تعدله ولا تقوم مقامه فهي تعدل ثلث القرآن لكن لا تقوم مقام ثلث القرآن بدليل أن الإنسان لو كررها في الصلاة الفريضة ثلاث مرات لم تكفه عن الفاتحة مع أنه قرأها ثلاثًا ».

أخبروه أن الله يحبه:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: (إن النَّبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعث رجلًا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته، فيختم بـ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال: سلوه لأي شيء يصنع ذلك، فسألوه. فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النَّبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أخبروه أن الله يحبه)(١).

موجبة الجنة:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أقبلتُ مع النَّبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فسمع رجلًا يقرأ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ ﴾، فقال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **وجبت**». قلت: وما وجبت ؟، **قال:** « **الجنة**» (٢).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء فكان كلما افتتح سورة يقرأ لهم في الصلاة ، فقرأ بها افتتح بـ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ

(١) أخرجه البخاري : (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣)..
(٢) أخرجه الترمذي : (٢٨٩٧)، وصححه الألباني في التعليق الرغيب :(٢ / ٢٢٤).

أَحَـدٌ ﴾ حتى يفرغ منها، ثم يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فكلمه أصحابه فقالوا: إنك تقرأ بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ سورة أخرى، فإما أن تقرأ بها، وإما أن تدعها وتقرأ سورة أخرى، قال: ما أنا بتاركها إن أحببتم أن أؤمكـم بها فعلت ، وإن كرهتم تركتكم. وكانوا يرونه أفضلهم وكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أتاهم النَّبي -ﷺ- أخبروه الخبر، فقال: **يا فلان ما يمنعك مما يأمر به أصحابك، وما يحملك أن تقرأ هذه السورة في كل ركعة ؟**، فقال: يا رسول الله إني أحبها، فقال رسول الله -ﷺ-: **إن حبها أدخلك الجنة**) [١].

قال العلامة أبو بكر بن العربي المالكي (أحكام القرآن: ٤/ ٤٢٣) : « فكان هذا دليلًا على أنه يجوز تكرار سورة في كل ركعة» ثم قال: « وليس من السُنَّة ختم القرآن في رمضان».

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: **(تفسيره ١٠/٦١٠) :** « قلت: هذا نص قول مالك، وقال مالك: وليس ختم القرآن في المساجد بسُنَّة ».

المواطن التي تقرأ فيها سورة الإخـلاص:

لفضل هذه السورة وعظيم منزلتها، فقد شرع للمسلم قراءتها في مواطن عدة ومنها:

١ الصلوات التي كان النَّبي -ﷺ- يقرأ فيها بسورة الإخلاص:

كان-ﷺ-يقرأ بها في الركعة الثانية في سُنَّة الفجر، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله-ﷺ-قرأ في ركعتي الفجر :﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١﴾ ﴾، و: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ﴾ [٢].

(١) أخرجه الترمذي : (٢٩٠١)، وصححه الألباني في صفة الصلاة : (٨٥).
(٢) أخرجه مسلم :(٧٢٦).

وكان يقرأها –ﷺ– في سُنَّة المغرب ففي سنن الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: « ما أحصي ما سمعت من رسول الله –ﷺ– يقرأ في الركعتين بعد المغرب، وفي الركعتين قبل صلاة الفجر بـ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١﴾ ﴾، و﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾» (١).

وفي ركعتي الطواف كذلك كان يقرأ هاتين السورتين.

ففي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما الطويل في صفة حجه ﷺ: « كان يقرأ –ﷺ– في الركعتين : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، و﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١﴾ ﴾ رواه مسلم(٢) والمراد بالركعتين : في الطواف.

وفي الوتر كان يقرأها –ﷺ– فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: (كان النَّبي –ﷺ– يقرأ في الوتر بـ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ﴾ ، ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١﴾ ﴾ و ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ في ركعة ركعة« (٣).

٢ الأذكار التي كان النَّبي -ﷺ- يقرأ فيها سورة الإخلاص:

أ - بعد الصلاة المفروضة:

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: (أمرني رسول الله –ﷺ– أن أقرأ المعوذات في دبر كل صلاة) رواه أبو داود والنسائي(٤). والمعوذات هي: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ ﴾ و ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾.

ب- في أذكار الصباح والمساء:

عن عبد الله بن خبيب قال: خرجنا في ليلة ماطرة، وظلمة شديدة نطلب

---

(١) أخرجه الترمذي : (٤٣١) والحديث حسن انظر المشكاة :(٨٥١).
(٢) أخرجه مسلم : (١٢١٨).
(٣) رواه الترمذي برقم : (٤٦٢)، وصححه الألباني في أصل صفة الصلاة :(٨٥).
(٤) أخرجه أبو داود : (١٥٢٣)، والنسائي : (١٣٣٦) ، وهو في صحيح أبي داود : (١٣٦٣).

رسول الله -ﷺ- ليصلي لنا، فأدركناه فقال: « قل» فلم أقل شيئًا ، ثم قال: «قل» فلم أقل شيئا، ثم قال: « قل» **فقلت: ما أقول يا رسول الله. قال: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، والمعوذتين حين تمسي، وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء»**[1].

ج- في أذكار النوم:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النَّبي -ﷺ- كان إذا آوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما، فقرأ: « ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١﴾ و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾ **ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات»**.[2]

د- في الرقية الشرعية:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله -ﷺ- « **إذا مرض أحد من أهله، نفث عليه بالمعوذات، فلما مرض مرضه الذي مات فيه، جعلت أنفث عليه، وأمسحه بيد نفسه، لأنها كانت أعظم بركة من يدي**« [3].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٧٥)، وأبو داود (٥٠٨٢).انظر صحيح الكلم الطيب ص: (١٩).

(٢) أخرجه البخاري : (٥٠١٧).

(٣) أخرجه البخاري : (٥٠١٦)، ومسلم : (٢١٩٢).

السُّنن الرواتب وبناء بيت في الجنة لكل راغب

عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:(**ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم اثنتي عشرة ركعة تطوعًا غير فريضة ،إلا بنى الله له بيتًا في الجنة**)[١].

لقد جعل الله النوافل مكملات للفرائض، فالفرائض هي أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله، وأجـر الفريضة أعظم من أجر النافلة ، والواجبات أحب إلى الله من النوافل، وينبغي أن يعرف المسلم ذلك ليعرف أولوياته فيقدم الأهم[٢] وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النَّبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (**إن الله قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه**) [٣].

النوافل سبب لمحبة الله للعبد:

وفي تتمة الحديث بيان لحب الله تعالى، وتوفيقه لمن قام بالنوافل : (**وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه**).

النوافل تسد خلل التقصير في الواجبات:

أخبر النَّبي -صلى الله عليه وسلم- عن وقوع المسلم في التقصير في الصلاة، ونقصان الأجر لكثير منهم في فرائضهم، فعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (**إن الرجل لينصرف من الصلاة وما كتب له إلا عشر صلاته،**

(١) أخرجه مسلم : (٧٢٨).
(٢) وقد ذكر الشيخ ابن عثيمين فروقًا كثيرة أوصلها إلى ثلاثين بين الفرض والنفل راجع (الشرح الممتع: ٤ / ١٢٩ ١٣١).
(٣) أخرجه البخاري : (٦٥٠٢).

تسعها، ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها، ربعها، ثلثها، نصفها) [١].

وما دام أن الأمر كذلك فقد ذكر النَّبي -ﷺ- وذكّر بأهمية النوافل وأدائها في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: **(إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيء قال الرب عَزَّ وَجَلَّ: انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل له ما أنتقص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله على ذلك)**[٢].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ **(شرح مسلم ٩/٦) :** « قال العلماء: والحكمة في شرعية النوافل[٣] تكميل الفرائض بها إن عرض فيها نقص كما ثبت في الحديث في سنن أبي داود وغيره، ولترتاض نفسه بتقديم النافلة، وينشط بها ويتفرغ قلبه أكمل فراغ للفريضة، ولهذا يستحب أن تفتح صلاة الليل بركعتين خفيفتين كما ذكره مسلم بعد هذا قريبًا» أ.هـ.

والسنن الرواتب [٤] هي اثنتا عشرة ركعة:

١- أربع قبل الظهر.

٢- وركعتان بعد الظهر.

٣- وركعتان بعد المغرب .

٤- وركعتان بعد العشاء.

٥- وركعتان قبل صلاة الفجر.

ودل على هذا العدد حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في الترمذي [٥] قالت: قال رسول الله -ﷺ-: **« من ثابر على اثنتي عشر ركعة من السُنَّة بنى الله له بيتًا في الجنة: أربع ركعات قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد**

(١) أخرجه أبو داود : (٧٩٠). انظر صحيح أبي داود : (٧٦١).
(٢) أخرجه الترمذي : (٤١٣)، وانظر صحيح الترغيب والترهيب للألباني : (٥٤٠).
(٣) قال في النهاية : سميت النوافل في العبادات ، لأنها زائدة على الفرائض.
(٤) قال العلامة ابن عثيمين (الشرح الممتع: ٤ / ٦٨) : (الراتبة) أي: الدائمة المستمرة.
(٥) رواه الترمذي : (٤١٤) ، وهو في صحيح الجامع رقم :(٦١٨٣).

العشاء، وركعتين قبل الفجر».

وفي حديث أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند الترمذي [١] وغيره قالت: قال رسول الله -ﷺ-: «**من صلى في يوم وليلة اثنتي عشر ركعة بُني له بيت في الجنة: أربعًا قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين بعد الفجر**».

وقت السُنن الرواتب:

قال الإمام ابن قدامة (المغني ٢/٣٦٤): «فصل: كل سُنَّة قبل الصلاة فوقتها من حلول وقتها إلى فعل الصلاة، وكل سُنَّة بعدها فوقتها من فعل الصلاة إلى خروج وقتها).

قضاء الرواتب:

الصحيح من أقوال أهل العلم أن المسلم إذا انشغل عن الراتبة فإنه يقضي.

قال العلامة الفوزان حفظه الله (الملخص الفقهي) ١/١٤٣-١٤٤:

(إذا فاتك شيء من هذه السُنن الرواتب فإنه يسن لك قضاؤه، وكذا إذا فاتك الوتر من الليل، فإنه يسن لك قضاؤه في النهار، لأنه -ﷺ- قضى ركعتي الفجر مع الفجر حين نام عنهما، وقضى الركعتين اللتين قبل الظهر بعد العصر، ويقاس الباقي من الرواتب في مشروعية قضائه إذا فات على ما فيه النص، وقال -ﷺ-: «**من نام عن الوتر أو نسيه فليصله إذا أصبح أو ذكر**» [٢].

---

(١) الترمذي برقم :(٤١٥)، والنسائي :(١٨٠٦)، وابن ماجه :(١١٤١)، وصححه الألباني في الصحيحة: (٢٣٤٧).

(٢) أخرجه أبو داود : (١٤٣١)، والترمذي : (٤٦٥)، وصححه الألباني في الإرواء :(٢/ ١٥٣).

ولكن من تركها عمدًا حتى فات وقتها فإنه لا يقضيها لأن الرواتب عبادات مؤقتة، والعبادات المؤقتة إذا تعمد الإنسان إخراجها عن وقتها لم تقبل منه.

الراتبة في السفر:

لم ينقل عن النَّبي -ﷺ- أنه صلى الرواتب في سفره إلا ما كان من سُنَّة الفجر التي لم يكن يدعها في حضر ولا سفر(١).

فعند البخاري ومسلم أن النَّبي -ﷺ-: «**كان لا يدعها حضرًا ولا سفرًا**» (٢).

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: « صحبت النَّبي -ﷺ- فلم أره يسبح(٣) في السفر»(٤).

وتتمته :« وقال الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾

[الأحزاب:٢١].

وقال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا صحبت رسول الله -ﷺ- فكان لا يزيد في السفر على ركعتين، وأبا بكر، وعمر، وعثمان كذلك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ » (٥).

وفي رواية عند مسلم: (**أنه رأى ناسا قياما يصلون بعد صلاة الظهر في السفر فقال: ما يصنع هؤلاء؟ قيل: يسبحون قال: لو كنت مسبحًا لأتممت صلاتي**)، ومعناه: لو اخترت التنفل لكان إتمام فريضتي أربعًا أحب إلي، ولكن لا أرى واحدًا منهما، بل السُنَّة القصر، وترك التنفل بالرواتب.

(١) من فتاوى أركان الإسلام للعلامة العثيمين : (٣٥٩).
(٢) أخرجه البخاري : (١١٥٩)، ومسلم : (٧٢٣).
(٣) المراد بقوله : يسبح. أي : ينتفل. وهو من باب إطلاق الجزء. وهو التسبيح، وبرواية الكل وهي الصلاة النافلة سميت سبحة لتشبيهها لها بالتسبيحات في الفريضة لكونها نافلة.
(٤) أخرجه البخاري : (١١٠١)، ومسلم : (٦٨٩).
(٥) أخرجه البخاري : (١١٠٢)، ومسلم : (٦٨٩).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(زاد المعاد ١/٣٠٥):** «وهذا من فقهه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإن الله سبحانه وتعالى خفف عن المسافر في الرباعية شطرها، فلو شرع له الركعتان قبلها، أو بعدها لكن الإتمام أولى به».

فضل الركعتين قبل الفجر:

ركعتا الفجر وسُنته هي آكد السنن الرواتب لقول عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا : (لم يكن النَّبي -ﷺ- على شيء من النوافل أشد تعاهدًا منه على ركعتي الفجر) [١].

وعنها رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: (كان لا يدع أربعًا قبل الظهر، وركعتين قبل الغداة). [٢]

وفي مسلم عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: (ما رأيت رسول الله -ﷺ- في شيء من النوافل أسرع منه إلى الركعتين قبل الفجر) [٣].

وكان -ﷺ- يحبهما ويقول: **(لهما أحب إلي من الدنيا جميعًا)**. [٤]

فضل الأربع قبل الظهر:

وسيأتي الحديث عنها مستقلة إن شاء الله تعالى.

السُّنن غير المؤكدة التابعة للفريضة:

١ زيادة ركعتين على الركعتين اللتين بعد صلاة الظهر:

لحديث أم حبيبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: **(من صلى أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها ، حرمه الله على النار)** [٥].

(١) أخرجه البخاري : (١١٦٩)، ومسلم : (٧٢٤).
(٢) أخرجه البخاري : (١١٨٢).
(٣) أخرجه مسلم : (٧٢٤).
(٤) أخرجه مسلم : (٧٢٥)، وفي كتابي :(تيسير الوصول لما يحبه الرسول)تجد تفصيلًا أكثر حول هاتين الركعتين من أحكام تتعلق بهما.
(٥) أخرجه الترمذي :(٤٢٧)، والنسائي :(١٨٤١)، وابن ماجه :(١١٦٠)أوالحديث في صحيح الجامع : (٦٣٦٤)، وصحيح الترغيب والترهيب : (٥٨٣).

٢ـ أربع ركعات أو ركعتان قبل صلاة العصر:

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله -ﷺ-: **(رحم الله امرأً صلى أربعًا قبل العصر)** (١).

وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال :كان رسول الله -ﷺ-: **(يصلي قبل العصر أربع ركعات ، يفصل بينهن بالتسليم على الملائكة المقربين ومن تبعهم من المسلمين والمؤمنين)** (٢).

وقد جاء عند أبي داود ذكر الركعتين قبل العصر من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: إن النَّبي -ﷺ- كان يصلي قبل العصر ركعتين (٣).

٣- سُنَّة المغرب القبلية:

في البخاري عن عبد الله بن مغفل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النَّبي -ﷺ- قال: **(صلوا قبل المغرب قال في الثالثة : لمن شاء)** (٤).

وقوله -ﷺ-:(لمن شاء) لئلا تتخذ سُنَّة راتبة(٥).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: « لقد رأيت كبار أصحاب رسول الله -ﷺ- يبتدرون السواري عند المغرب» (٦).

والمعنى أنهم يستبقون إلى السواري،وأعمدة المسجد لاتخاذها سترة للصلاة.

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥٧٩١)، وأبو داود : (١٢٧١)، والترمذي : (٤٣٠)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود :(١١٥٤).
(٢) أخرجه الترمذي : (٤٢٩) وهو في الصحيحة برقم : (٢٣٧).
(٣) أخرجه أبو داود (١٢٧٢)،وقال النووي في المجموع: (٤ / ٨):(كذلك إسناده صحيح).قال الألباني (تمام المنة : ٢٤١):(قلت : هو كذلك لولا أنه شاذ بهذا الفظ ، والمحفوظ بلفظ أربع ركعات).
(٤) أخرجه البخاري :(١١٨٣).
(٥) شرح رياض الصالحين للعثيمين : (٢ / ١٣٢٨).
(٦) أخرجه البخاري : (٥٠٣).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا نصلي على عهد رسول الله -ﷺ-: (ركعتين بعد غروب الشمس، قبل المغرب، فقيل : أكان رسول الله -ﷺ- صلاهما: قال: كان يرانا نصليهما فلم يأمرنا ولم ينهانا »[١].

وعنه قال: كنا بالمدينة فإذا أذن المؤذن لصلاة المغرب ابتدروا السواري فركعوا ركعتين حتى إن الرجل الغريب ليدخل المسجد فيحسب أن الصلاة قد صليت من كثرة من يصليها«[٢]. [٣]

ولم ينقل عنه -ﷺ- أنه كان يصلي الركعتين قبل المغرب كما ذكر ذلك ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في الزاد « ١/ ٣٠٢» ، وما رواه ابن حبان أن النَّبي -ﷺ- صلى قبل المغرب « ركعتين».

قال عنه العلامة الألباني (تمام المنة ٢٤٢) : « هذه الرواية منقطعة الإسناد منكرة المتن والمحفوظ الرواية الأولى في الكتاب من حديث البخاري بلفظ: (صلوا قبل المغرب) ».أ.هـ.

٤- سُنَّة العشاء القبلية:

عن عبد الله بن مغفل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله -ﷺ-: **(بين كل أذانين صلاة، بين كل أذانين صلاة)** قال في الثالثة: **(لمن شاء)** متفق عليه[٤].

فهذا الحديث عام في مشروعية الصلاة بين كل أذانين، والمراد بالأذانين الأذان والإقامة، فالإقامة لغة : هي أذان وكذلك شرعًا بدليل هذا الحديث،

(١) أخرجه مسلم : (٨٣٦).
(٢) أخرجه مسلم : (٨٣٧).
(٣) وإذا علمت ذلك فلا حجة لما ذهبت إليه الحنفية وتبعها في ذلك الهادوية من كراهة الصلاة قبل صلاة المغرب.
(٤) أخرجه البخاري : (٦٢٧)، و مسلم : (٨٣٨).

وهو من باب التغليب كقولك: القمرين وتريد الشمس والقمر، والعمرين: وهما أبو بكر وعمر وهكذا.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(شرح رياض الصالحين) ١٣٢٢/٢:**(العشاء كذلك ليس لها راتبة قبلها لكن تدخل في الحديث أن يصلي بعد الأذان وقبل الإقامة ركعتين).

٥ـ سُنَّة الجمعة:

من المعلوم أن الجمعة صلاة مستقلة بنفسها تخالف الظهر في الجهر والعدد والخطبة والشروط المقيدة لها، ولها سننها الخاصة بها، فلا تلحق بالظهر في هذا الأمر أو تقاس عليه(١)، وليس للجمعة سُنَّة قبلية ثابتة عن النَّبي –ﷺ–، ونقل شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى « ٢٤/ ١٨٩» اتفاق جماهير الأئمة على أنه ليس قبل الجمعة سُنَّة مؤقتة بوقت، مقدرة بعدد.

قال في زاد المعاد (٤١٥/١) : « وهو مذهب مالك وأحمد في المشهور عنه، وأحد الوجهين لأصحاب الشافعي».

وأما التنفل المطلق قبل الجمعة قبل أن يحل وقت الزوال فقد جاء في مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النَّبي –ﷺ– قال: **(من اغتسل يوم الجمعة، ثم أتى المسجد، فصلى ما قدر له، ثم أنصت حتى يفرغ الإمام من خطبته، ثم يُصلي معه، غفر له ما بينه وبين الجمعة، وفضل ثلاثة أيام)**(٢).

وللجمعة سُنَّة بعدية ثبت فيها القول والفعل عنه –ﷺ– فأما من قوله فأربع ركعات كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله –ﷺ–: « **إذا**

(١) راجع زاد المعاد :(١ / ٤١٧)، ومجموع فتاوى ابن تيمية : (٢٤ / ١٩٠).
(٢) أخرجه مسلم : (١٩٨٧).

صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعًا».[١]

ومن فعله -صلى الله عليه وسلم- صلى ركعتين، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النَّبي -صلى الله عليه وسلم-: (**كان لا يُصلي بعد الجمعة حتى ينصرف فيُصلي ركعتين في بيته**).[٢].

قال ابن القيم رحمه الله **(زاد المعاد: ١/٤٢٥):**

(قال شيخنا أبو العباس ابن تيمية: إن صلى في المسجد صلى أربعًا، وإن صلى في بيته صلى ركعتين. قلت: وعلى هذا تدل الأحاديث وقد ذكر أبو داود أن النَّبي -صلى الله عليه وسلم-: (**كان إذا صلى في المسجد صلى أربعًا ، وإذا دخل في بيته صلى ركعتين**)[٣]. أ.هـ.

جدول موضح لسُنن الفرائض القبلية والبعدية :[٤]

الصلاة	عدد سنتها القبلية	مرتبتها	عدد سنتها البعدية	مرتبتها
الفجر	٢	آكد الرواتب	لا يوجد	-
الظهر	٤ أو ٢	راتبة	٢	راتبة
العصر	٤	غير راتبة	لا يوجد	-
المغرب	٢	غير راتبة	٢	راتبة

(١) أخرجه مسلم : (٨٨١).
(٢) أخرجه مسلم : (٨٨٢).
(٣) أخرجه أبو داود : (١١٣٠)، وقال الأرناؤوط : إسناده حسن (حاشية زاد المعاد : ١ / ٤٢١).
(٤)شرح رياض الصالحين (٢/ ١٣٣٠) لابن عثيمين.

العشاء	٢	غير راتبة	٢	راتبة
الجمعة	لا يوجد	–	٢ أو ٤	الركعتان راتبة والأربع غير راتبة[1]

وسُنَّة الجمعة البعدية ذكرها ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (صليتُ مع رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قبل الظهر سجدتين، وبعدها سجدتين، وبعد المغرب سجدتين، وبعد العشاء سجدتين، وبعد الجمعة سجدتين، فأما المغرب والعشاء والجمعة فصليت مع النَّبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– في بتيه) متفق عليه.[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ **(مجموع الفتاوى ٢٤/٢٠٠):**

« ومدارها – أي السُّنن الرواتب – على هذه الأحاديث الثلاثة حديث ابن عمر، وعائشة، وأم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ » أ.هـ.

(١) أخرجه البخاري : (١١٧٢)، ومسلم : (٧٢٩).

من صلى أربعًا الضحى بُني له بيت في جنة المأوى

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال:قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-:«**من صلى الضحى أربعًا، وقبل الأولى أربعًا بُني له بيتًا في الجنة** » (١).

أخي الكريم : إن صلاة التطوع تنقسم إلى أقسام عدة ومنها: ما يكون مرتبطا بوقت إما بوقت الفريضة كما تقدم معنا، أو في وقت لا علاقة له بالفريضة كما في الوتر، والتراويح، والضحى. ومنها ما هو مقرون بأسباب كصلاة الاستخارة والاستسقاء وغيرها. ومنه ما هو تطوع ونفل مطلق ليس له سبب ولا حصر لعدد ركعاته، ويجوز في كل وقت من ليل أو نهار ما لم يكن في أوقات النهي(٢).

وصلاة الضحى سُنَّة ثابتة عن النَّبي-صلى الله عليه وسلم-من قوله وفعله، قال النووي: «وكون سُنَّة الضحى سُنَّة هو مذهب جمهور السلف، وقول الفقهاء المتأخرين» وقد ذكر بعض أهل العلم أنها بلغت حد التواتر(٣).

الأحاديث الواردة في فضل صلاة الضحى:

١- عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله-صلى الله عليه وسلم-يُصلي الضحى أربعًا، ويزيد ما شاء الله) (٤).

٢- عن أم هانئ رضي الله عنها قالت: (إن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-صلى في بيتها عام الفتح ثمان ركعات. قالت: وذلك ضحى).(٥)

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط :(٤٨٥٣)، وصححه الألباني في الصحيحة :(٢٣٤٩).
(٢) من فقه العبادات للدكتور على القليصي رحمه الله : (١ / ١٩٠).
(٣) توضيح الأحكام : (١ / ٥٣٥).
(٤) أخرجه مسلم : (٧١٩).
(٥) أخرجه مسلم : (٣٣٦).

٣- عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (رأيت رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صلى في سفر سُبحة الضحى، صلى ثمان ركعات)[١].

٤- وعن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (أنه رأى رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يصلي صلاة الضحى)[٢].

٥- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (أوصاني خليلي محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام)[٣].

٦- عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (أوصاني حبيبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بثلاث لن أدعهن ما عشت: بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، وبأن لا أنام حتى أوتر)[٤].

٧- عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (أوصاني حبيبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بثلاثة لا أدعهن إن شاء الله تعالى أبدًا: أوصاني بصلاة الضحى، وبالوتر قبل النوم، وبصيام ثلاثة أيام من كل شهر)[٥].

٨- عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: **(يصبح على كل سُلامى[٦] من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة، صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة،**

(١) أخرجه أحمد: (٢٤٨٦)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. قال الأرناؤوط: ويشهد له حديث ثوبان أخرجه مسلم: (٧٢٥٨) فالحديث صحيح لغيره حاشية الزاد: (١ / ٣٣٢).
(٢) قال الأرناؤوط: (١ / ٣٣٣): (رجاله ثقات، وذكره الهيثمي في المجمع: (٢ / ٢٣٨)، ونسبه للطبراني في (الكبير) وقال: إسناده صحيح.
(٣) أخرجه البخاري: (١١٧٨)، ومسلم: (٧٢١).
(٤) أخرجه مسلم: (٧٢٢).
(٥) أخرجه النسائي: (٢٤٠٤)، وصححه الألباني في الإرواء: (٩٤٦).
(٦) قال النووي: شرح مسلم (٥ / ١٩٣): (وهو بضم السين وتخفيف اللام، وأصله عظام الأصابع وسائر الكف، ثم استعمل في جميع عظام البدن ومفاصله) أ. هـ.

ويجزئ من ذلك، ركعتان يركعهما من الضحى) [١].

٩- قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « الشرح الممتع: ٤/ ٨٣ » : « وبناءً على هذا الحديث نقول: إنه يُسن أن يُصليها دائماً، لأن أكثر الناس لا يستطيعون أن يأتوا بهذه الصدقات التي تبلغ ثلاثمائة وستين صدقة » أ.هـ.

١٠- عن نعيم بن حماد قال: سمعت رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول : **(قال الله -عَزَّوَجَلَّ- يا ابن آدم لا تعجزني عن أربع ركعات في أول النهار أكفك آخره)**.[٢]

ومعنى لا تعجزني: أي لا تفوتني من العبادة، قال الحافظ العراقي: (أي لا تفتني بأن لا تفعل ذلك فيفوتك كفايتي آخر النهار)[٣]، وقد ذكر هذا الحديث الإمام أبو داود في (باب صلاة الضحى)، وقال الشوكاني: (نيل الأوطار: ٢/ ٨٥): (المراد بهذه الأربع ركعات صلاة الضحى) نقلًا عن العراقي.

١١- عن أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النَّبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: **(من مشى إلى صلاة مكتوبة وهو متطهر كان له كأجر الحاج المُحرم، ومن مشى على سُبحة الضحى كان له كأجر المعتمر، وصلاة على إثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين)**.

قال أبو أمامة: «الغدو والرواح إلى هذه المساجد من الجهاد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ » [٤].

١٢- عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: بعث النَّبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جيشًا، فأعظموا الغنيمة، وأسرعوا الكرة، فقال رجل: يا رسول الله ، ما رأينا بعثًا قط أسرع كرة، ولا أعظم غنيمة من هذا البعث، فقال: (أأخبركم بأسرع كرة، وأعظم

---

(١) أخرجه مسلم : (٧٢٠).
(٢) أخرجه أحمد : (٢٢٤٦٩)، وأبو داود:(١٢٨٩)،وصححه الألباني في صحيح أبي داود:(١١٦٧).
(٣) عون المعبود : (٤ / ١٢٤).
(٤) أخرجه أحمد : (٢٢٣٠٤) ، وأبو داود : (١٢٨٨) و: (٥٥٨) ، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود :(٥٦٧).

غنيمة من هذا البعث: رجل توضأ في بيته فأحسن وضوءه، ثم عمد إلى المسجد، فصلى فيه صلاة الغداة، ثم أعقب بصلاة الضُحى، فقد أسرع الكرة، وأعظم الغنيمة).[١]

١٣- عن عتبان بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت أصلي لقومي ببني سالم، وكان يحول بيني وبينهم وادٍ إذا جاءت الأمطار، فيشق علي اجتيازه قِبَل مسجدهم، فجئت رسول الله-ﷺ-فقلت له: إني أنكرت بصري، وإن الوادي الذي بيني وبين قومي يسيل إذا جاءت الأمطار فيشق عليّ اجتيازه، فوددت أنك تأتي فتصلي من بيتي مكانًا أتخذه مصلى، فقال رسول الله-ﷺ-:« سأفعل« فغدا على رسول الله-ﷺ-وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين ارتفع إليها، فاستأذن رسول الله -ﷺ- فأذنت له، فلم يجلس حتى قال: أين تحب أن نُصلي من بيتك، فأشرت له إلى المكان الذي أحب أن يُصلي فيه، فقام رسول الله-ﷺ-فكبر وصففنا وراءه فصلى ركعتين ثم سلم وسلمنا حين سلم« متفق عليه[٢].

١٤ عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله-ﷺ-: (**من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين، ومن صلى أربعًا كتب من العابدين، ومن صلى ستًا كفى ذلك اليوم، وصلى ثمانيًا كتبه الله من القانتين، ومن صلى اثنتي عشرة ركعة بنى الله له بيتًا في الجنة، وما من يوم ولا ليلة إلا لله من يمن على عباده صدقة، وما من الله على أحد من عباده أفضل من إن يُلهمه ذكره**) [٣].

١٥ عن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله-ﷺ-يقول: (**في الإنسان ستون وثلاثمائة مفصل، فعليه أن يتصدق عن كل مفصل صدقة، قالوا: فمن**

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٤ / ١٥٣ ٥٣١)، ومن طريقة ابن حبان : (٦٢٩). انظر الصحيحة للألباني: (٢٥٣١).
(٢) أخرجه البخاري : (١١٨٦)، ومسلم : (٣٣).
(٣) أخرجه الطبراني في الدعاء : (حديث : ١٧٤٥)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب :(٦٧٤).

يطيق ذلك يا رسول الله ؟ قال: النخاعة في المسجد تدفنها، والشيء تنحيه عن الطريق، فإن لم تقدر فركعتا الضحى تجزئ عنك) (١).

١٦- عن عاصم بن ضمرة قال: سألنا عليًا عن صلاة رسول الله-ﷺ- من النهار فقال: إنكم لا تطيقون ذلك، فقلنا: من أطاق ذلك منا، فقال: كان رسول الله-ﷺ-إذا كانت الشمس من هاهنا المشرق كهيئتها من هاهنا عند العصر صلى ركعتين، وإذا كانت الشمس من هاهنا كهيئتها من هاهنا عند الظهر صلى أربعا، وصلى أربعا قبل الظهر وبعدها ركعتين، وقبل العصر أربعا يفصل بين كل ركعتين بالتسليم على الملائكة المقربين والنَّبيين والمرسلين ومن تبعهم من المؤمنين والمسلمين». (٢)

قال الشوكاني (نيل الأوطار: ٨٧/٢): « قوله: (إذا كانت الشمس من هاهنا) يعني من قبل المشرق مقداره من صلاة العصر من ههنا قبل المغرب المراد من هذا أنه-ﷺ-صلى ركعتي الضحى. أ.هـ ».

١٧- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله-ﷺ-قال: « **لا يحافظ على صلاة الضحى إلا أواب** » (٣).

١٨ عن عبد الله بن عابد أن أمامة وعتبة بن عبد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حدثاه عن رسول الله-ﷺ- قال : « **من صلى صلاة الصبح في جماعة ثم ثبت يسبح لله حتى الضحى كأن له كأجر حاج، ومعتمر كاملة حجة وعمره** » (٤).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **(زاد المعاد)٣٤٤/١:**«فهذا أصل هذه الصلاة

(١) أخرجه أحمدفي مسنده : (حديث : ٢٢٣٨٥)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب :)٦٦٤).
(٢) أخرجه الترمذي : (٥٩٨)، وابن ماجه (١١٦١) ، والحديث في الصحيحة للألباني : (٢٣٧).
(٣) أخرجه الحاكم : (١/ ٣١٤)، وهو في السلسلة الصحيحة للألباني برقم : (٧٠٣).
(٤) أخرجه الطبراني : حديث : (٧٥٩٧). وهو في صحيح الترغيب :(٤٦٩).

وقصتها، ولفظ البخاري فيها، فاختصره بعض الرواة عن عتبان، فقال: إن رسول الله -ﷺ- صلى في بيته سُبحة الضحى، فقاموا وراءه فصلوا » أهـ.

قلت: إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، فلا التفات بعد هذه النصوص لمن يقول ببدعية صلاة الضحى، إذ أوصى -ﷺ- ثلاثة من صحابته بها، بل وقد نقل عدد من الصحابة عنه أنه صلاها، ثم الأحاديث الأخرى التي تبين فضلها وتحث عليها، وتذكر أنها سبب في دخول الجنة، واعتلاء الدرج فيها، ومن ثم المثبت مقدم على النافي » .

وقال العلامة الشوكاني - رَحِمَهُ اللَّهُ - **(نيل الأوطار: ٨٢/٢):** « ولا يخفاك أن الأحاديث الواردة بإثباتها قد بلغت مبلغًا لا يقصر البعض منه على اقتضاء الاستحباب».

وقد جمع الحاكم الأحاديث في إثباتها في جزء مفرد عن نحو عشرين نفسًا من الصحابة، وكذلك السيوطي صنّف جزءًا في الأحاديث الواردة في إثباتها وروى فيه عن جماعة من الصحابة أنهم كانوا يصلونها منهم أبو سعيد الخدري، وقد روى ذلك عنه سعيد بن منصور، وأحمد بن حنبل، وعائشة، وقد روى ذلك عنهما سعيد بن منصور وابن أبي شيبة، وأبو ذر وقد روى ذلك عنه ابن أبي شيبة وعبد الله بن غالب، و روى عنه أبو نعيم وأخرج سعيد بن منصور عن الحسن أنه سئل هل كان أصحاب رسول الله -ﷺ- يصلونها؟ فقال: نعم كان منهم من يصلي ركعتين، ومنهم من يصلي أربعًا ومنهم من يمد إلى نصف النهار.

وأخرج سعيد بن منصور في سُننه أيضًا عن ابن عباس أنه قال: طلبت صلاة الضحى في القرآن فوجدتها ههنا ﴿ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ ﴾ [ص:١٨].

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف والبيهقي في الإيمان من وجه أخر عن ابن عباس أنه قال: إن صلاة الضحى لفي القرآن، وما يغوص عليها إلا غواص في قوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النور:٣٦]. وأخرج الأصبهاني في الترغيب عن عون العقيلي في قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾ [الإسراء:٢٥] . قال: « الذين يصلون صلاة الضحى» أ.هـ كلامه رحمه الله.

وقت صلاة الضحى :

تقدم في حديث عتبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بيان ذلك، فقال: « حين ارتفع النهار».

وفي حديث علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المتقدم كذلك.

(حتى إذا كانت الشمس من هاهنا – يعني المشرق – مقدارها من صلاة العصر من ههنا قبل المغرب قام فصلى ركعتين) ، قال العلامة الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (نيل الأوطار: ٢/ ٨٧): « المراد من هذا أنه–صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–صلى ركعتي الضحى، ومقدار ارتفاع الشمس من جهة المشرق كمقدار ارتفاعها من جهة المغرب عند صلاة العصر، وفيه تبيين وقتها» أ.هـ.

فوقت صلاة الضحى إذًا من ارتفاع الشمس قيد رمح بعد طلوعها إلى قبيل الزوال وقت قيام الشمس في كبد السماء فهي واقعة بين وقتي نهي – حين ارتفاع الشمس، وحين الزوال – فإذا ارتفعت الشمس قيد رمح فذاك بداية وقتها.

قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(الشرح الممتع) ٨٧/٤ :** «وبالدقائق المعروفة: حوالي اثنتي عشر دقيقة، ولنجعله ربع ساعة خمس عشرة دقيقة، لأنه أحوط فإذا مضى خمس عشرة دقيقة من طلوع الشمس فإنه يزول وقت النهي، ويدخل وقت صلاة الضحى» أ.هـ.

وكذلك قبل الزوال بعشر دقائق لأن ما قبل الزوال وقت نهي ينهي عن الصلاة فيه، لأنه الوقت الذي تسجر فيه جهنم [١].

وأما النهي عن الصلاة في هذين الوقتين فقد جاء في صحيح مسلم عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (**ثلاث ساعات كان رسول الله-ﷺ-ينهانا أن نُصلي فيهن، أو أن نقبر فيهن موتانا حين تطلع الشمسُ بازغة حتى ترتفع، وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل الشمس، وحين تضيف الشمس للغروب حتى تغرب**)[٢].

أفضل وقتها:

وأفضل وقت لصلاة الضحى عند اشتداد الحر لما ثبت في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:خرج رسول الله-ﷺ-على أهل قباء وهم يصلون، فقال: (صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال) وفي رواية (حين ترمض الفصال).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ **(شرح مسلم: ٦/٢٥)**: (قوله-ﷺ-: (صلاة الأوابين حين ترمض الفصال)[٣].

هو بفتح التاء والميم، يقال: رمض يرمض كعلم يعلم، والرمضاء: الرمل الذي اشتدت حرارته بالشمس، أي :حين يحترق أخفاف الفصال، وهي الصغار من أولاد الإبل، جمع فصل من شدة حر الرمل، والأواب: المطيع، وقيل الراجع إلى الطاعة، وفيه فضيلة الصلاة هذا الوقت قال أصحابنا: هو أفضل وقت صلاة الضحى، وإن كانت تجوز من طلوع الشمس إلى الزوال) أ.هـ.

(١) الشرح الممتع : (٤ / ٨٨).
(٢) أخرجه مسلم : (٨٣١).
(٣) أخرجه مسلم : (٧٤٨).

وقد أخرج الحاكم وغيره عن أبي هريرة حديثًا صريحًا في تفسير صلاة الأوابين وأنها صلاة الضحى ، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:قال رسول الله ﷺ: **(لايحافظ على صلاة الضحى إلا أواب، قال : وهي صلاة الأوابين)**(١) .

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في وصية النَّبي -ﷺ-له بثلاث وهو عند مسلم والبخاري جاء في زيادة عند أحمد ، وابن خزيمة: **(وأن لا أدع صلاة الضحى فإنها صلاة الأوابين)** (٢).

وأما ما جاء من أن صلاة الأوابين هي ما بين المغرب والعشاء فالحديث فيه ضعف، انظر ضعيف الجامع :٥٦٧٦. قال العلامة عبد الله البسام (توضيح الأحكام: ١/ ٥٣٦): (سميت تلك الصلاة صلاة الأوابين، لأنهم آبوا ورحلوا إلى طاعة الله وعبادته حينما اشتغل الناس بتجارتهم ومتاعهم وزراعتهم، ومال بعضهم إلى الراحة، فيأتي الأوابون بذكر الله تعالى، وينقطعون عن كل مطلوب سواه، والله الموفق). أ.هـ.

عدد ركعاتها:

أقلها ركعتين، وهو أقل عدد في صلاة التطوع ما عدا الوتر وعليه فلا يجوز التطوع بركعة(٣).

وتقدم معنا الأحاديث في ذكر عدد صلاة الضحى فقد ثبت الركعتان، والأربع، والثمان عنه-ﷺ-من فعله وقوله وأما أكثرها فقد قال بعض العلماء: أكثرها ثمان، وقيل اثنتا عشرة ركعة (٤)يسلم بين كل ركعتين.

---

(١) أخرجه ابن خزيمة :(١ / ١٣٣ / ١)،والحاكم:(١ / ٣١٤). انظر صحيح الجامع رقم:(٧٦٢٨).
(٢) رواه أحمد :(٢/ ٥٠٥)، وابن خزيمة :(١٢٢٣)، صحيح الترغيب والترهيب : (٦٦٤).
(٣) الشرح الممتع : (٤ / ٨٤).
(٤) انظر الشرح الممتع : (٤ / ٨٤)، وفقه العبادات للقليصي (١ / ٢٠١).

ورجح العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في (الشرح الممتع:٤/٨٥):** (أنه لا حد لأكثرها، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « والصحيح أنه لاحدلأكثرها لأن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: كان النَّبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُصلي الضحى أربعًا، ويزيد ما شاء الله» أخرجه مسلم. [(١)] ولم تقيد.

ولو صلى من ارتفاع الشمس قيد رمح إلى قبيل الزوال أربعين ركعة مثلًا ، لكان هذا كله داخلًا في صلاة الضحى) أ.هـ.

وقال في شرح (رياض الصالحين:٢/ ١٣٣٧): « وأما قول من قال: إن أكثرها ثمان، ففيه نظر، لأن حديث أم هانئ في فتح مكة ، قالت :إن رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-صلى ثمان ركعات لا يدل على أن هذا هو أعلاه» أ.هـ.

(١) تقدم تخريجه.

من صلى أربعًا قبل الظهر فاز ببيت في الجنة

عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله –ﷺ–:« **من صلى الضحى أربعًا، وقبل الأولى أربعًا، بنى الله له بيتًا في الجنة** »(١).

لقد شرع الله عَزَّوَجَلَّ لنا الفرائض وشرع إلى جانبها نافلة من جنسها، كفريضة الصلاة، وفريضة الصيام، وفريضة الزكاة، وفريضة الحج، كل هذه الفرائض يشرع إلى جانبها نافلة من جنسها، تجبر نقصها وتصلح خللها، وهذا من فضل الله على عباده، حيث نوَّع لهم الطاعات، ليرفع لهم الدرجات، ويحط عنهم السيئات. ومن هذه النوافل الرواتب بعدالفريضة وقبلها، وفي هذا الحديث فضيلة عظيمة للأربع الركعات قبل صلاة الظهر وهي الصلاة الأولى المعنية في هذا الحديث، ومماجاء في فضلها :

١- حُبه -ﷺ- للأربع قبل الظهر، والمواظبة عليها:

عن قابوس عن أبيه قال: أرسل أبي امرأة إلى عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يسألها أي الصلاة كانت أحب إلى رسول الله –ﷺ–أن يواظب عليها؟ قالت: (يُصلي قبل الظهر أربعًا يطيل فيهن القيام، ويحسن فيهن الركوع والسجود) (٢).

٢- تفتح لهن أبواب السماء:

أخبرنا النَّبي –ﷺ–أن أبواب السماء تفتح في هذا الوقت ولذلك يقول عبدالله ابن السائب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (كان النَّبي –ﷺ–يصلي قبل الظهر بعد الزوال

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث : (٤٨٥٣)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (٢٣٤٩) وقد تقدم وقال رحمه الله: والمراد بالأولى صلاة الظهر فيما يبدو. والله أعلم) وسميت الأولى لأن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما علم النَّبي –ﷺ–مواقيت الصلاة بدأ بالظهر كما في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه ابن ماجه : (١١٥٦)، وهو في الصحيحة برقم : (٢٧٠٥).

أربعا، ويقول: إن أبواب السماء تفتح فيها، فأحب أن أقدم فيها عملًا صالحًا)[١].

وعن أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: **(أربع قبل الظهر ليس فيهن تسليم[٢] تفتح لهن أبواب السماء)**. [٣].

٣- نجاة من النار:

عن أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **(من صلى قبل الظهر أربعا، وبعدها أربعا حرمه الله على النار)**.[٤]

٤- تعدلن بصلاة السحر:

عن أبي صالح -مرسلًا-: «أربع ركعات قبل الظهر يعدلن بصلاة السحر» [٥].

فهذه فضائل كريمة، ومزايا جليلة لهذه السُنَّة العظيمة. وقد كان -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مواظبًا عليها، ومن ذلك أنه إذا لم يصلها قبل الظهر صلاها بعده.

* عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (أن النَّبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان إذا لم يصل أربعًا قبل الظهر صلاهن بعده) [٦].

وفي حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (كان رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يصلي قبل الظهر أربعًا، وبعدها ركعتين) [٧].

---

(١) في سنده برقم: (١٥٠٩٩)، وهو في الصحيحة برقم: (٣٤٠٤).
(٢) قال المناوي في التيسير شرح الجامع الصغير (١ / ٢٧٦): (تفتح لهن أبواب السماء): كناية عن حُسن القبُول وسُرعة الوصول).
(٣) أخرجه أبو داود: (١٢٧٠) وهو في صحيح الجامع: (٦٣٦٤).
(٤) أخرجه الترمذي: (٤٢٧)، والنسائي: (١٨١٤)، وابن ماجه (١١٦٠). والحديث في صحيح الجامع: (٦٣٦٤)، وصحيح الترغيب والترهيب: (٥٨٣).
(٥) والنسائي: (١٨١٤)، وابن ماجه (١١٦٠). والحديث في صحيح الجامع: (٦٣٦٤)، وصحيح الترغيب والترهيب: (٥٨٣)، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: (٥٨٥٧)، والحديث في صحيح الجامع: (٨٨٢).
(٦) أخرجه الترمذي: (٤٢٦)، وهو في صحيح الترمذي: (٣٥٠).
(٧) رواه الترمذي في كتاب الصلاة باب ما جاء في الأربع قبل الظهر، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٤٨).

وفي البخاري تقول الصديقة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :(أن النَّبي –ﷺ–كان لا يدع أربعًا قبل الظهر».[١]

قال العلامة الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح حديث أم حبيبة المتقدم: «والحديث يدل على تأكد استحباب أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها، وكفى بهذا الترغيب باعثًا على ذلك». ثم قال: « وظاهر قوله :« من صلى» أن التحريم على النار يحصل بمرة واحدة، ولكنه قد أخرجه الترمذي وأبو داود وغيرهما بلفظ : «من حافظ» فلا يحرم على النار إلا المحافظ» أ.هـ.[٢] وهؤلاء الركعات الأربع هن من رواتب الفريضة، والتي تقدم بيان فضلها وأهميتها.

صلاة النَّبي -ﷺ- للأربع قبل الظهر في بيته:

في صحيح مسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: (كان–ﷺ–يصلي قبل الظهر أربعًا في بيتي ثم يخرج فيصلي بالناس) [٣].

وفي هذا الحديث فضيلة صلاة النافلة في البيت وأنه أفضل ، فرسول الله– ﷺ–مع فضل الصلاة في المسجد النبوي إلا أنه صلاها في بيته عليه الصلاة والسلام بل وصرح بذلك–ﷺ–فيما ثبت عند ابن ماجه ، عن عبدالله بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألت رسول الله–ﷺ–أيما أفضل: الصلاة في بيتي، أو الصلاة في المسجد؟ فقال: (**ألا ترى إلى بيتي؟ ما أقربه إلى المسجد؟ فلأن أصلي في بيتي أحب إلى من أن أصلي في المسجد إلا أن تكون صلاة مكتوبة**) [٤].

وفي غير ما حديث يحث النَّبي –ﷺ–على صلاة النافلة في البيت فعن عبدالله ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله–ﷺ–قال: (**اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا**

(١) أخرجه البخاري : (١١٨٢).
(٢) نيل الأوطار : (٢ / ٢٤).
(٣) رواه مسلم : (٧٣٠).
(٤) أخرجه ابن ماجه : (١٣٧٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب : (٤٣٩).

تتخذوها قبورًا) [١].

وعن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: **(صلُّوا أيها الناس في بيوتكم فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة)** متفق عليه[٢].

وفي مسلم عن جابر عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **(إذا قضى أحدكم صلاته في مسجده فليجعل لبيته نصيبًا من صلاته، فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرًا)** [٣].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: إن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: **(اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تجعلوها قبورا كما اتخذت اليهود والنصارى في بيوتهم قبورا، وإن البيت ليتلى فيه القرآن فيتراءى لأهل السماء كما تتراءى النجوم لأهل الأرض)** [٤].

قال العلامة صالح الفوزان - حفظه الله - بعد ذكره حديث عائشة الذي في مسلم: « فيؤخذ من هذا أن فعل الراتبة في البيت أفضل من فعلها في المسجد، وذلك لمصالح تترتب على ذلك منها: البعد عن الرياء، والإعجاب، ولإخفاء العمل عن الناس، ومنها: أن ذلك سبب لتمام الخشوع، والإخلاص. ومنها: عمارة البيت بذكر الله، والصلاة التي بسببها تنزل الرحمة على أهل البيت، ويبتعد عنه الشيطان». أ.هـ.

هل تُصلى بتسليمتين أم بتسليمة واحدة:

ذهب الأئمة الثلاثة أحمد ومالك والشافعي رحمهم الله إلى أنها تصلى بتسليمتين وحجتهم حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يصليهن بتسليمتين[٥].

(١) أخرجه البخاري : (٤٣٢)، ومسلم : (٧٧٧).
(٢) البخاري : (٧٣١)، ومسلم : (٧٨١).
(٣) أخرجه مسلم : (٧٧٨).
(٤) أخرجه أحمد: (٦ / ٦٥)، وهو في الصحيحة :(٣١١٢).
(٥) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري للعيني: (١١ / ٤٠٧).

وذهب الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أنها تصلى أربعًا بتسليمة واحدة، واستدل بحديث أبي أيوب « ليس فيهن تسليم »[(١)].

قال القارىء رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « الأفضل فيها ذلك أي عدم الفصل بسلام وكذا يستدل بهذا من جعل صلاة النهار أربعًا أربعًا » أ.هـ.

و**قال في (المرقاة: ٤/٢٨٢)** : « ولا شك أنه يجوز أذا صلى أربعًا أن يكون بتسليمة ، أو بتسليمتين والخلاف في الأولوية ». أ.هـ.

ونص الحديث حديث أبي أيوب نص صريح في فضل صلاتها بتسليمة واحدة، ولا يمنع ذلك أن تصلى ركعتين ركعتين بتسليمتين لاسيما، والكل وارد عنه-ﷺ-مع زيادة فضل وذكر منقبة لمن صلاهن بدون تسليم إذ تفتح لهن أبواب السماء. والله أعلم.

---

(١) سبق تخريجه.

ثلاث صفات ترقى بالمؤمن في نعيم الجنات

عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: **(أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه)** رواه أبو داود[١].

الخصال الحسنة طريق إلى كل خير ومن آثارها الطيبة ما جاء في هذا الحديث من فضيلة ثلاث خصال، وثلاث بثلاث، فمع كل خصلة يقوم بها المسلم يُبنى له بيت في الجنة.

قال الخطابي: البيت هاهنا القصر يقال هذا بيت فلان : أي قصره[٢].

ويكفيك فخرًا إن كنت من أصحاب هذه الخصال الحميدة ، أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-هو الزعيم، والزعيم : الضامن لهذه القصور على شريطة أن تُحقق المشروط من أجله، ولنعش مع هذه الخصال الحميدة، والمكارم السديدة من خلال نافذة الكتاب الكريم، والسُنَّة المطهرة الرشيدة .

١ـ ترك المراء:

المراء يقول أهل العلم :هو الجدل والخصومة وهو خلق ذميم يقسي القلب، ويولد الضغائن، ويورث البغضاء والقطيعة، وفي حديث أبي أمامة عند الترمذي وابن ماجه [٣] قال-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **(ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه ، إلا أوتوا الجدل)**.فالجدل طريق للضلال، وهو وظيفة من لا عمل له، و سبيل البطالين، والفارغين، وخاتمة ذلك الابتعاد عن الصراط المستقيم، والانتكاسة

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٠٠)، وهو في صحيح الترغيب : (٢٦٤٨).
(٢) معالم السنن : (٤٧٣٢).
(٣) أخرجه الترمذي :(٣٢٥٣)، و ابن ماجه :(٤٨)، وهو في صحيح الجامع حديث رقم :(٥٦٣٣).

عن طريق الهداية، وكم قد شاهدنا في هذه الحياة من متساقطين عن طريق الهداية، كان من أسباب تنكبهم عن الهدى، الخصام، والمراء، والجدل بالباطل والإثم، وما يزيدنا هذا إلا يقينا بصدقه-ﷺ-وبعدًا عن هذا الخلق الذميم عافانا الله وإياكم منه ، ورب العزة جل وعلا يذم الكفار وجدالهم بالباطل، فيقول: ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الزخرف:٥٨].

وفي كتاب الله العزيز آيات كثيرة تذم جدال الكفار وسوء أخلاقهم في هذه الخصلة الذميمة، فمنها :

قال تعالى :﴿ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الكهف: ٥٦] ، وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [الشورى:١٦].

وقال تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنعام:٢٥]. وقال عزوجل :« ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ ﴾ [يس: ٧٧-٧٨]. والآيات في هذا كثيرة.

أبغض الرجال إلى الله عزوجل :

مما ينفر المرء من هذه الخصلة الذميمة أن يعلم أن صاحبها من أبغض الخلق إلى الله تعالى ، وهذا ما حدثنا به الصادق المصدوق-ﷺ-فيما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي-ﷺ-: قال : (**أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم**) [(١)].

(١) أخرجه البخاري :(٢٤٥٧)، ومسلم : (٢٦٦٨).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(شرح مسلم : ١٦ / ٢٠٦) :** « قوله ﷺ: (**أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم**) ، هو بفتح الخاء وكسر الصاد. و « الألد » شديد الخصومة مأخوذ من لديدي الوادي وهما جانباه ، لأنه كلما احتج عليه بحجة أخذ في جانب آخر. وأما « الخصم » فهو الحاذق بالخصومة بالباطل في رفع الحق ، أو إثبات باطل والله أعلم» أ.هـ.

المراءِ بالباطل يسبب سخط اللّه والعياذ باللّه من ذلك :

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن النَّبي -ﷺ- قال : (**من خاصم في باطل وهو يعلم ، لم يزل في سخط الله حتى ينزع**) [١].

ومعنى « حتى ينزع « :أي حتى يترك ويتوب إلى الله من ذلك فاعلم أخي الكريم أن الجدال والمراء بالباطل مذموم ، وصاحبه على شفا جرف هار ، ولذلك كان السلف - رحمهم الله - يذمون هذا الخُلق ذمًا شديدًا.

فها هو الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ سمع قومًا يتجادلون فقال: « هؤلاء قوم ملُّوا العبادة ، وحق عليهم القول ، وقل ورعهم فتكلموا ».

وقال مهدي بن ميمـون : « سمعت محمد بن سيرين وماراه رجل أي جادله ففطن له، فقال: « إني أعلم ما يريد ، إني لو أردت أن أماريك كنت عالمًا بأبواب المراء، ولكن لماذا أضيع وقتي معك؟ ».

وقال جعفر بن محمد : « إياكم والخصومات في الدين ، فإنها تشغل القلب، وتورث النفاق ».

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في (الأذكار):**«فإن قلت : لابد للإنسان من خصومة لاستفاء حقوقه. فالجواب ما أجاب به الغزالي : أن الذم إنما هو فيمن

---

(١) أخرجه أبو داود :(٣٥٩٧)، وهو في صحيح الجامع للألباني : (٦١٩٦).

خاصم بباطل وبغير علم كوكيل القاضي ، فإنه يتوكل قبل أن يعرف الحق في أي جانب ويدخل في الذم من يطلب حقًا لكن لا يقتصر على قدر الحاجة ، بل يظهر اللدد والكذب لإيذاء خصمه ، وكذلك من يحمله على الخصومة محض العناد ولقهر خصمه وكسره ، ومثله من يخالط الخصومة بكلمات تؤذي وليس إليها ضرورة في التوصل إلى غرضه فهذا هوا المذموم ، بخلاف المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد وإسراف، وزيادة لجاج على الحاجة من غير قصد عناد ولا إيذاء بفعله ، وهذا ليس مذمومًا ولا حرامًا ، ولكن الأولى تركه ما وجد إليه السبيل وفي بعض كتب الشافعية أنها ترد شهادة من يكثر الخصومة لأنها تنقص المروءة لا لكونها معصية ».

الخصام سبب في عدم رفع الأعمال:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله-ﷺ-قال :(**تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين و يوم الخميس ، فيغفر فيها لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا رجلًا كانت بينه و بين أخيه شحناء ، فيقال : أنظروا هذين حتى يصطلحا**) رواه مسلم [(١)].

فالجنة لا يدخل فيها إلا المتحابون،أما المتباغضون المتخاصمون فليس لهم محل؛ لان الجنة لا تصلح للتباغض،وهي أطهر من أن تسع متباغضين متخاصمين.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ **:(شرح مسلم) :** قوله-ﷺ-:(**تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس**) الحديث قال القاضي : قال الباجي :معنى فتحها كثرة الصفح والغفران، ورفع المنازل وإعطاء الثواب الجزيل، قال القاضي :ويحتمل أن يكون على ظاهره، وأن فتح أبوابها علامة لذلك.

(١) أخرجه مسلم:(٢٥٦٥).

وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا :

الكذب خصلة ذميمة، وخلة أثيمة ، مبغوضة عند الله وعند خلقه ، وصاحبها موصوف بالدناءة ، وموسوم بالانحطاط ، تأباه الفطرة السليمة ، والعقول المستقيمة.

وهو صفة للمنافقين الخونة، ففي الصحيحين أن النَّبي -ﷺ- قال : (**آية المنافقين ثلاث : إذا حدَّث كذب ، وإذا أوعد أخلف ، وإذا ائتمن خان**)(١) .

وقال- ﷺ-: (**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ، ومن كانت فيه خصلة منهن، كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا اؤتمن خان ، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر**) متفق عليه (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾[المنافقون:١] ، وهذه أبرز صفات النفاق العملي ومنها، وعلى رأسها الكذب وتزوير الحقائق، والافتراء بالباطل ، فهذا هو الزور الذي يجر صاحبه إلى الفجور. و في الصحيحين أن النَّبي -ﷺ- قال ـ: (**إن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، ولا يزال الرجل يكذب حتى يُكتب عند الله كذابًا**).

فالكاذب مكتوب عند الله كذابًا ، وبئس هذا الوصف لمن اتصف به.

ولقد قرن الله الكذب بعبادة الأوثان فقال تعالى : ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ ﴾[الحج:٣٠].

ولقد كان الكفار في كفرهم، وأهل الجاهلية في جاهليتهم لا يمتطون الكذب، ولا يتخذونه منهجًا لحياتهم ، أو بلوغ مآربهم ، ففي قصة هرقل وسؤالاته لأبي سفيان عن رسول الله -ﷺ- قال أبو سفيان: (فوالله لولا الحياء

(١) أخرجه: البخاري:(٣٣) ، ومسلم :(١٠٧) و(١٠٩).
(٢) أخرجه : البخاري (٣٤) ، ومسلم (١٠٦).

من أن يؤثروا عليَّ كذبًا ، لكذبت عليه) (١).

فهذا أبو سفيان. وهو في كفره قبل أن يسلم يترفع عن الكذب ، ويستحي أن يؤثر عليه ، أو ينسب إليه، فكيف بك أيها المؤمن، وقد حباك الله بهذا الدين العظيم ، والذي يأمر بالصدق ، ويحث عليه.

الكذب تعريفه ، أنواعه وأقسامه :

وبعد فاعلم أخي الكريم أن الكذب هو الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه سواء كان عمدًا أو خطأً (٢).

وكما يكون الكذب في الأقوال فكذلك يكون في الأفعال كما في قصة أخوة يوسف – عليه الصلاة والسلام –: ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨ ﴾ [يوسف: ١٦–١٨]. فجمعوا بين الكذب بالقول، والكذب بالفعل.

أنواع الكذب :

واعلم أن الكذب أنواع :

الأول: الكذب على الله ورسوله – ﷺ – :

وهذا أعظم أنواع الكذب : قال تعالى : ﴿ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٤ ﴾

[الأنعام : ١٤٤].

(١) أخرجه البخاري : (٧).
(٢) فتح الباري (٦ / ٢٤٢). قال النووي (الأذكار : ٣٣٧) : (لكن لا يأثم في الجهل، وإنما يأثم في العمد) أ..هـ.

يقول الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(الكبائر وتبين المحارم : ٦١) :** «قد ذهب طائفة من العلماء إلى أن الكذب على رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كفر ينقل عن الملة، ولا ريب أن تعمد الكذب على الله ورسوله في تحليل الحرام وتحريم الحلال كُفر محض ، وإنما الشأن في الكذب عليه في سوى ذلك».

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النَّبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال : **(إن كذبًا عليَّ ليس ككذب على غيري ، من كذب عليَّ عامدًا فليتبوأ مقعده من النار)** [١].

الثاني : الكذب في الحلم :

عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن النَّبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال : « **من تحلم** [٢] **بحلم لم يره ، كُلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل** » [٣].

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن النَّبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال : « **أفرى الفِري أن يُري الرجل عينه ما لم تريا** » [٤].

قال العلامة ابن عثيمين (شرح رياض الصالحين:٢ / ١٦٢٧):

(والمعلوم أن الإنسان لو حاول مهما حاول أن يعقد بين شعيرتين فإنه لا يستطيع ، ولكنه لا يزال يُعذب ، ويقال : لابد أن تعقد بينهما ، وهذا وعيد يدل على أن التحلم بما لم يره الإنسان من كبائر الذنوب ، وهذا ما يقع من بعض السفهاء ، يتحدث ويقول : رأيت البارحة كذا وكذا ، لأجل أن يُضحك الناس ، وهذا حرام عليه ، وأشد من ذلك أن يقول : رأيت النَّبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقال لي : كذا وكذا وما أشبه ذلك ، فإنه أشد وأشد لأنه كذب على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أ.هـ.

---

(١) أخرجه البخاري : (١٠٣)، ومسلم : (٣).
(٢) تحلم : أي قال : إنه حلم في نومه، ورأى كذا وكذا وهو كاذب.
(٣) أخرجه البخاري : (٧٠٤٢).
(٤) أخرجه البخاري : (٧٠٤٣).

وفي (فتح الباري : ١٢ / ٤٤٧): « قال الطبري : (إنما اشتد فيه الوعيد مع أن الكذب في اليقظة قد يكون أكثر مفسدةً منه ، إذ قد تكون شهادة في قتل أحد، وأخذ مال ذلك لأن الكذب في المنام كذب على الله سبحانه وتعالى أنه أراه ما لم يره، والكذب على الله أشد من الكذب على المخلوقين لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [هود:١٤٤]. وإنما كان الكذب في المنام كذبًا على الله لحديث : (الرؤيا جزءُ من النبوة)، وما كان من أجزاء النبوة فهو من قِبل الله سبحانه وتعالى) أ.هـ.

الكذب في البيع والشراء:

عن حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال : (**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، أو قال : حتى يتفرقا ، فإن صدقا وبينا بُورك لهما في بيعهما ، وإن كتما وكذبا مُحقت بركة بيعهما**) رواه البخاري ومسلم [١].

فالبائع الكذاب في بيعه يُودي بماله إلى التلف ، ومحق البركة ، وكم من الناس من يظن أنه بالكذب ينفق ماله ويُربح تجارته ، لكنه في الحقيقة يهلك ماله ويمحقه كما نطق بذلك المصطفى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الذي لا ينطق عن الهوى.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال إن النَّبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال : « **ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم: رجل حلف على سلعة لقد أعطي بها أكثر مما أعطى وهو كاذب**...إلخ » [٢].

وفي مسلم عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال : (**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ، ولهم عذب أليم : المسبل إزاره ، والمنان ، والمنفق سلعته**

(١) أخرجه البخاري: (٢٠٧٩)، ومسلم : (١٥٣٢).
(٢) أخرجه البخاري : (٢٢٤٠)، ومسلم : (١٠٨).

بالحلف الكاذب) (١).

الكذب لأكل أموال الناس بالباطل:

عُلم مما تقدم أن الكذب حرام وهذا مادلت عليه النصوص، وأجمعت عليه الأمة. ولكنه إذا تضمن أكل مال بالباطل كان أعظم جرمًا، وأشد عقوبةً.

فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النَّبي -ﷺ- قال: (**الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس**) رواه البخاري(٢).

وفي رواية: (**قيل ما اليمين الغموس؟ قال: التي يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها كاذب**).

وقيل سميت غموسًا لأنها تغمس الحالف في الإثم (٣).

وفي صحيح مسلم عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله -ﷺ- قال: (**من حلف على يمين يقتطع بها مال امرئٍ مسلم، لقي الله وهو عليه غضبان**، قيل: وإن كان شيئًا يسيرًا؟، **قال: وإن كان قضيبًا من أراك**) (٤).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله -ﷺ- قال: (**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم:........ ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال رجل مسلم**). رواه البخاري ومسلم(٥).

قال الإمام النووي: (شرح مسلم ٢/ ٩٤): (وخص ما بعد العصر لشرفه، بسبب اجتماع ملائكة الليل والنهار وغير ذلك) أ.هـ.

(١) أخرجه مسلم: (١٠٦).
(٢) أخرجه البخاري: (٦٦٧٥).
(٣) الكبائر وتبيين المحارم للذهبي (ص:٩١).
(٤) أخرجه مسلم: (١٣٧).
(٥) أخرجه البخاري: (٢١٩٦)، ومسلم: (٩٩٠).

الكذب على الأطفال ، والاستهانة به عند كثير من الناس:

الكذب هو الكذب سواءً كان على الكبار أو الصغار. وبعض الناس يكثر من الكذب على الأطفال لإسكاتهم أو غير ذلك من الأسباب ، وهذا له آثاره السلبية في تربية الولد ، وعدم ثقته بأبيه أو أمه ، ومؤداه إلى سقوط القدوة التي يحترمها، ويراها شيئًا كبيرًا.

فعن عبد الله بن عامر رضي الله عنه أن أمه دعته ، فقالت : تعال أعطك ، فقال النَّبي -صلى الله عليه وسلم-: (ما أردت أن تعطيه ؟) قالت: ثمرًا ، فقال لها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (**أما إنك لو لم تعطه شيئًا لكُتبت عليك كذبة**) رواه أبو داود[1].

الكذب في المزاح :

وهو ما دل عليه حديث الباب في حث النَّبي -صلى الله عليه وسلم- المسلم على التخلي عن الكذب ، والتنحي عنه ولو كان من أجل المزاح ، وتسلية الآخرين ، أو لقصد جلب المسرة على النفس ، والترويح عنها ، فليس هذا السبيل الناجح ، أو الطريق السديد ، للوصول إلى كل هذا.

فالمعصية هي سبب لجلب الضيق ، واستجلاب الهم والغم : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾

[طه : ١٢٤].

فعلى المسلم أن يطرق البيوت من أبوابها الشرعية ، وسبلها المرعية، ولقد كان النَّبي -صلى الله عليه وسلم- يمازح أصحابه ، ويداعب أحبابه، ولكنه كما قال أبو هريرة رضي الله عنه قال : قالوا : يا رسول الله إنك لتداعبنا ! ، قال : (**لا أقول إلا حقًا**)[2].

---

(١) أخرجه أبو داود : (٤٣٣٩).
(٢) رواه الترمذي :(١٩٩٠) ، وصححه الألباني في الصحيحة (١٧٢٦).

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : المزاح بما يحسن مباح ، وقد مزح رسول الله –ﷺ– فلم يقل إلا حقًا.

فالمزاح منه المحمود وهو الذي لا يشوبه ما كره الله عَزَّوَجَلَّ ، ومنه المذموم: وهو ما صاحبه ما يكرهه الله عَزَّوَجَلَّ ومنه الكذب فإن ذلك مما لا يحسن ، أو يباح ، ويشرع ، فهو طريق لكل شر، وسبيل للأحقاد، والضغناء، والشحناء ، ولذلك يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ : « الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل» [١].

وعن بكر بن عبد الله قال : « كان أصحاب رسول الله –ﷺ– يتباذخون بالبطيخ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال» [٢].

وفي سُنن الترمذي وأبي داود ، عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله –ﷺ–: (**ويل للذي يُحدث فيكذب ليضحك به القوم،ويل له،ثم ويل له**)[٣].

قال الإمام الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ **: (سبل السلام ٤ / ٥٦٣) :** « والحديث دليل على تحريم الكذب لإضحاك القوم ، وهذا تحريم خاص. ويحرم على السامعين استماعه إذا علموه كذبًا ، لأنه إقرار على المنكر ، بل يجب عليهم الإنكار أو الانصراف من الموقف » أ.هـ.

ما يجوز من الكذب :

عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها سمعت رسول الله –ﷺ– يقول : (**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرًا، أو يقول خيرًا**) متفق عليه[٤].

(١) الآداب الشرعية (لابن مفلح : (١ / ١٩).
(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم:(٢٦٦)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد : (٢٠١).
(٣) أخرجه الترمذي:(٢٣١٥)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب :(٢٩٤٤).
(٤) أخرجه البخاري: (٢٦٩٢) ، ومسلم : (٢٦٠٥).

زاد مسلم في رواية : قالت أم كلثوم : ولم أسمعه يُرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث : (**الحرب ، والإصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها**).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(الأذكار: ٣٣٦ ٣٣٧) :** (فهذا حديث صريح في إباحة بعض الكذب للمصلحة ، وقد ضبط العلماء ما يباح منه. وأحسن ما رأيته في ضبطه ، ما ذكره الإمام أبو حامد الغزالي فقال : الكلام وسيلة إلى المقاصد، فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعًا، فالكذب فيه حرام لعدم الحاجة إليه ، وإن أمكن التوصل إليه بالكذب ، ولم يمكن الصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحًا، وواجب إن كان المقصود واجبًا ، فإذا اختفى مسلم من ظالم وسأل عنه وجب الكذب بإخفائه ، وكذا لو كان عنده أو عند غيره وديعة ، وسأل عنها ظالم يريد أخذها وجب عليه الكذب بإخفائها ، حتى لو أخبر بوديعة عنده فأخذها الظالم قهرًا ، وجب ضمانها على المودع المخبر ، ولو استحلفه عليها ، لزمه أن يحلف ويوري في يمينه ، فإن حلف ولم يور ، حنث على الأصح ، وقيل لا يحنث ، وكذلك لو كان مقصود حرب، أو إصلاح ذات البين، أو استمالة قلب المجني عليه في العفو عن الجناية لا يحصل إلا بكذب ، فالكذب ليس بحرام، وهذا إذا لم يحصل الغرض إلا بالكذب ، والاحتياط في هذا كله أن يوري ، ومعنى التورية أن يقصد بعبارته مقصودًا صحيحًا ليس هو كاذبًا بالنسبة إليه ، وإن كان كاذبًا في ظاهر اللفظ ، ولو لم يقصد هذا بل أطلق عبارة الكذب فليس بحرام في هذا الموضوع.

قال أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وكذلك كل من ارتبط به غرض مقصود صحيح له أو بغيره ، فالذي له مثل : أن يأخذه ظالم ويسأله عن ماله ليأخذه

، فله أن ينكره ، أويسأله السلطان عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله أن ينكرها، ويقول : ما زنيت ، أو شربت مثلًا... وقد اشتهرت الأحاديث بتلقين الذين أقروا بالحدود الرجوع عن الإقرار، وأما غرض غيره فمثل : أن يسأل عن سر أخيه فينكر ، ونحو ذلك ، وينبغي أن يقابل بين مفسدة الكذب ، والمفسدة المترتبة على الصدق ، فإن كانت المفسدة في الصدق أشد ضرر فله الكذب ، وإن كانت عكسه، أو شك حرم عليه الكذب ، ومتى جاز الكذب فإن كان المبيح غرضًا يتعلق بنفسه فيستحب أن لا يكذب ومتى كان متعلقًا بغيره لم تجز المسامحة بحق غيره ، والحزم تركه في كل موضع أبيح إلا إذا كان واجبًا » أ.هـ.

(وبيت في أعلى الجنة لمن حسُن خلقه)

الارتقاء في أعلى الجنة منقبة عظيمة ، ومزية جليلة ، ثمنها حسن الخلق، فمكارم الأخلاق صفة الأنبياء، والصديقين، والصالحين ، وبحسن الخُلق بعث الله محمدًا -ﷺ- فجاء بأخلاق ربانية ، وما من شريعة سماوية إلا وحثت على التخلق بالخلق الفاضل القويم ، وما من كتاب إلا وأرشد إلى حُسن الأخلاق، وما من رسول أرسله الله تعالى إلا ودعا إلى ملازمة محاسن الأخلاق، وكرائم الخصال والفعال ، ومن رُزق الأخلاق ترأس وساد ، وأحبه العباد ، وفُتحت له القلوب .

فإذا رزقت خليقة محمودة	فقد اصطفاك مقسم الأرزاق
فالناس هذا حضه مالٌ وذا	علم ، وذاك مكارم الأخلاق
والمال إن لم تدخره محصنًا	بالعلم ، كان نهاية الإملاق
والعلم إن لم تكتنفه شمائل	تُعليه ، كان مطية الإخفاق
لا تحسبن العلم ينفع وحده	ما لم يتوج ربه بخلاق

وقد حث القرآن الكريم ، والرسول العظيم -ﷺ- على حسن الخلق ، وأمر أتباعه وذويه بالتحلي بمكارم الأخلاق، فهم أولى الناس، وأسعدهم بهذه الأخلاق.

فضائل مكارم الأخلاق :

لمكارم الأخلاق فضائل كثيرة ، ومزايا عديدة تواترت بذكرها النصوص ، واستفاض أمرها في الأدلة الشرعية ومن فضائلها :

١ ـ مكارم الأخلاق سبب في دخول الجنة :

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سئل رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عن أكثر ما يُدخل الناس الجنة؟، فقال : **(تقوى الله وحُسن الخلق)**، وسئل عن أكثر ما يُدخل الناس النار؟، فقال : **(الفم والفرج)** (١).

٢ ـ مكارم الأخلاق طريق إلى محبة الله للعبد:

عن أسامة بن شريك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: **(أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خُلقًا)** (٢).

٣ـ مكارم الأخلاق طريق الوصول إلى محبة الرسول:

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قال : **(إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا)** (٣).

٤ ـ مكارم الأخلاق أثقل شيء في الميزان يوم القيامة :

عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: **(ما من شيء في الميزان أثقل من حُسن الخلق)** (٤).

---

(١) أخرجه الترمذي : (٢٠٠٤)، وابن ماجه : (٤٢٤٦). انظر السلسلة الصحيحة للألباني : (٩٧٧).
(٢) أخرجه الطبراني : (٤٧١)، والحاكم :(٤ / ٣٩٩ ٤٠١٠)، وهو في صحيح الجامع للألباني برقم: (١٧٩).
(٣) أخرجه الترمذي : (٢٠١٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم : (٢٢٠١).
(٤) أخرجه أبو داود : (٤٧٩٩)، والترمذي : (٢٠٠٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع : برقم : (٥٧٢١).

٥ ـ مكارم الأخلاق سبب لمضاعفة الأجر والثواب :

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت إن رسول الله -ﷺ- قال : (**إن الرجل ليبلغ بحُسن خلقه درجة الصائم القائم**) [١].

وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله -ﷺ-: (**إن الرجل ليدرك بحُسن الخلق درجة القائم بالليل الظامئ بالهواجر**) [٢].

٦ ـ مكارم الأخلاق من خير أعمال العباد:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله -ﷺ- قال : (يا أبا ذر ، ألا أدلك على خصلتين ، هما أخف على الظَّهر ، وأثقل في الميزان من غيرهما قال : بلى يا رسول الله ، قال : (**عليك بحُسن الخلق، وطول الصمت، فو الذي نفس محمد بيده ما عمل الخلائق بمثلها**) [٣].

وعن أسامه بن شريك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سئل النَّبي -ﷺ- فقيل له : يا رسول الله ما خير ما أعطي الإنسان ؟ قال : (**خُلق حسن**) [٤].

٧ـ مكارم الأخلاق سبب لتعمير الديار ، وزيادة الأعمار :

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : قال رسول الله -ﷺ-: (**صلة الرحم ، وحُسن الخلق، وحسن الجوار يعمران الديار ، ويزيدان في الأعمار**) [٥].

٨ ـ مكارم الأخلاق سبب في تأييد الله ونصره :

في الصحيحين من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في قصة بدء الوحي على رسول

(١) أخرجه أبو داود : (٤٧٨٩)، والحاكم : (١ / ٦٠)، وانظر صحيح الجامع : (١٦٢٠).
(٢) رواه الطبراني : (٧٧٠٩) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع : (١٦٢١).
(٣) رواه البزار في كشف الأستار:(٤ / ٢٢٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم:(٤٠٤٨).
(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد : (٢٩١)، وابن ماجه : (٣٤٣٦)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد:(٢٢٣).
(٥) أخرجه أحمد : (٦ / ١٥٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم : (٣٧٦٧).

الله–ﷺ–: فقال لخديجة وأخبرها الخبر : (لقد خشيت على نفسي) فقالت له خديجة : كلا ، والله ما يخزيك الله أبدًا ، وإنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق)[١] [٢].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(شرح مسلم ٢ / ١٦٠) :** (قال العلماء رحمهم الله ـ: معنى كلام خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنك لا يصيبك مكروه لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق، وكرم الشمائل ، وذكرت ضروبًا من ذلك ، وفي هذا دلاله على أن مكارم الأخلاق ، وخصال الخير سبب السلامة من مصارع السوء) أ.هـ.

٩ـ مكارم الأخلاق من صفات المؤمنين الكمَّل :

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول–ﷺ–قال : (**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا، وخياركم خياركم لنسائهم خُلقًا**) [٣].

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن النَّبي–ﷺ–قال : (**خياركم أحاسنكم أخلاقًا**)[٤].

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله–ﷺ–قال : « **أفضل المؤمنين أحسنهم خُلقًا** » [٥].

١٠ ـ دعاؤه ـﷺـ ربه أن يهديه لصالح الأخلاق:

عن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله–ﷺ–قال : (**اللهم اغفر ذنوبي وخطايا كلها ، اللهم أنعشني واجبرني ، اللهم أهدني لصالح الأعمال والأخلاق،**

---

(١) والكل :أي صاحب العيلة والفاقة ، والمعدوم الفقير ، وتقري :أي تكرم وتحسن.
(٢) رواه البخاري : (٣) ، ومسلم : (١٦٠).
(٣) أخرجه الترمذي: (١٦٦٢)، وأبو داود : (٤٦٨٢) ، وصححه الألباني في: الصحيحة برقم:(٢٨٤).
(٤) أخرجه البخاري : (٣٥٥٩) ، ومسلم : (٢٣٢١).
(٥) أخرجه الحاكم :(٤ / ٥٤٠)، وهو في صحيح الجامع : (١١٢٨).

فإنه لا يهدي لصالحها، ولا يصرف سيئها إلا أنت) [١].

١١ ـ مكارم الأخلاق ركن من أركان البعثة النبوية :

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال : قال رسول الله –ﷺ–: (**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**). وفي رواية : (**صالح الأخلاق**) [٢].

١٢ ـ وصية النَّبي –ﷺ– لأصحابه بحسن الأخلاق:

عن أبي ذر ومعاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله –ﷺ–:(**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلقٍ حسن**) [٣].

١٣ ـ مكارم الأخلاق ترقى بصاحبها إلى الخيرية :

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قالا : قال رسول الله –ﷺ–: (**إن من خياركم أحاسنكم أخلاقًا**) [٤].

وعلى كل فإن مكارم الأخلاق هي أخلاق المؤمنين ، وأجل منازل الصالحين، وعروة من أوثق عرى الإيمان ، وباب سعادة المرء في الدنيا والآخرة.

ولقد كان النَّبي –ﷺ–أسوة حسنة تتحرك بين الناس بمكارم الأخلاق يرونه قائمًا على إتمامها خير قيام حتى استحق أن يزكيه الله في كتابه ، ويشهد له فقال سبحانه وتعالى :﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم :٤] [٥].

(١) أخرجه الحاكم : (٣ / ٤٦٢)، وهو في صحيح الجامع برقم : (١٢٦٦).
(٢) أخرجه أحمد : (٢ / ٣٨١)، والبخاري في الأدب المفرد : (٢٧٣) ، والحاكم :(٢ / ٦٣١) ، وصححه الألباني في الصحيحة : (٤٥).
(٣) أخرجه الترمذي : (١٩٨٧) ، وهو في صحيح الجامع برقم : (٩٧).
(٤) تقدم تخريجه قريبًا.
(٥) راجع (مكارم الأخلاق) للعلامة ابن عثيمين ، و(مكارم الأخلاق في ضوء الكتاب والسُنَّة) لسليم الهلالي ، و(الأخلاق بين الطبع والتطبع) للأخ الفاضل الحبيب فيصل الحاشدي.

أخلاق غير المسلمين:

(يورد كثير من الناس أن أهل الغرب أحسن أخلاقًا منا في تعاملهم، وبيعهم وشرائهم بينما تجد الغش والكذب، وإنفاق السلعة بالحلف الكاذب منتشرًا بين صفوفنا نحن المسلمين.

وللرد على هذه الفرية نقول: قال النَّبي عليه الصلاة والسلام (**البينة على المدعي**)، وما كان مشهورًا بين الناس من أن الغرب عندهم حُسن الخُلق في المعاملة فهذا ليس بصحيح، فإن عندهم من سوء المعاملة ما يعرفه من ذهب إليهم، ونظر إليهم بعين العدل والإنصاف دون النظر إليهم بعين الإجلال، والإكبار فقد قال الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيبٍ كليلةٌ ∴ كما أن عين السخط تبدي المساويا

ولقد حدثني كثير من الشباب الثقات الذين ذهبوا إلى الغرب عن أفعال من أسوأ الأخلاق، لكنهم هم إذا نصحوا فيما ينصحون فيه من البيع والشراء، فليس لأنهم ذوو أخلاق، وإنما لأنهم عباد مادة، والإنسان كلما كان أنصح في معاملة من هذه المعاملات الدنيوية كان الناس إليه أقبل، وإلى شراء سلعته، وترويجها أسرع.

فهم لا يفعلون ذلك لأنهم كاملوا الأخلاق، لكن لأنهم أصحاب مادة، ويرون من أكبر الدعايات لتنمية أموالهم أن يحسنوا المعاملة،من أجل أن يجذبوا إليهم الأعداد الكبيرة.وإلا فهم كما وصفهم الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة:٦].

ولا أظن أحدًا أصدق وصفًا من الله عَزَّوَجَلَّ للكافرين، فإنهم شر البرية، وكيف يرجى خيرٌ مقصود لذاته من قوم وصفهم الله بأنهم شر البرية، لا أعتقد

أن ذلك يكون أبدًا، لكن ما يوجد فيهم من الصدق والبيان، والنصح في بعض المعاملات، إنما هو مقصود لغيره عندهم، وهو الحصول على المادة والكسب، وإلا فمن رأى ظلمهم وغشهم واستطالتهم على الخلق في مواطن كثيرة، عرف مصداق قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦ ﴾ [البينة:٦].

وأما بالنسبة لما وقع من كثير من المسلمين، من الغش والكذب والخيانة في المعاملات فإن هؤلاء المسلمين نقصوا من إسلامهم وإيمانهم بقدر ما خالفوا الشريعة فيه من هذه المعاملات.

فلا يعني أن مخالفة بعض المسلمين وخروجهم عن إطار الشريعة في مثل هذه الأمور، لا يعني ذلك النقص في الشريعة نفسها، فالشريعة كاملة، وهؤلاء الذين أساءوا إلى شريعة الإسلام، ثم إلى إخوانهم المسلمين، هؤلاء أساءوا إلى أنفسهم فقط، والعاقل لا يجعل إساءة العامل سوءًا في الشريعة التي ينتمي إليها هذا العامل.

ولذلك فإنني أرجو من جميع المسلمين أن تكون لهم حملة قوية في محاربة هذه الأمور التي لا يقرها الإسلام من الكذب، والخيانة، والغش، والخداع، وما أشبه ذلك.

فلا بد أن نبين للناس أن من كمال الدين كمال الخلق، كما صح عن النَّبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: (**أكمل المؤمنين إيمانا، أحسنهم خُلقًا**).

وعلى هذا فكل من كان ناقص الخُلق فهو ناقص الدين، فكمال الدين بكمال الخُلق، ولذلك فإن تأثير كامل الخُلق على غيره من جَلبه إلى الإسلام، وإلى الدين أكبر من تأثير ذي الديانة السيئ الخلق، فإذا وفق من كان قويًا في العبادة إلى كمال الخلق كان ذلك أحسن وأكمل). (١)

(١) (مكارم الأخلاق :٤٣ـ ٤٤ـ ٤٥). للعلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

بيت في الجنة، ورفعة الدرج لمن سد الفرج

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال : **(من سد فرجة بنى الله له بيتًا في الجنة، ورفعه بها درجة)** رواه الطبراني[1].

وأخرجه ابن ماجه بلفظ : **(إن الله وملائكته يصلون على الذين يصلون الصفوف ، ومن سد فرجة رفعه الله بها درجة)** [2].

لقد دلنا النَّبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في هذا الحديث على عمل يسير لا يكلف المرء حمل الأثقال ، ولا السهر بالليل والناس نيام ، وإنما هي بضع خطوات يخطوها ليسد بها الفرج ، ليرفعه الله بها درجة ، ويبني له بيتًا في الجنة وهذه الفضيلة العظيمة ذات الثواب الجزيل ، لا يلتفت إليها كثير من المسلمين ، ولا يبالون بها ، بل إن بعضهم يتشاءم من فعل كهذا ، ويتعجب لماذا كل هذا الاهتمام.

واعلم أخي الكريم أن سد الفرج في الصف في الصلاة له أجر عظيم ، وثوابه كبير، وإليك من سُنَّة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما يدل على ذلك زيادة على حديثنا المتقدم آنفًا :

١- الأمر النبوي بسد الفرج، والخلل في الصفوف :

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال : **(أقيموا الصفوف ، وحاذوا بين المناكب، وسدوا الخلل [3]، ولينوا بأيدي إخوانكم ، ولا تذروا فُرُجات**

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط حديث : (٥٩٠٣)أوانظر الصحيحة للألباني : (١٨٩٢).
(٢) أخرجه ابن ماجه :(٩٩٥)، وهو في الصحيحة :(٢٥٣٢).
(٣) الخلل : الفرجة بين الشيئين.مختار الصحاح :(١٠٧).

للشيطان ، ومن وصل صفًا[١] ، وصله الله [٢]، ومن قطع صفًا[٣] ، قطعه الله) [٤].

٢- أحب الخطى إلى الله :

وعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله -ﷺ- قال : **(إن الله وملائكته يصلون على الذين يلون الصفوف الأول ، وما من خطوة أحب إلى الله من خطوة يمشيها ليصل بها صفًا)** [٥].

٣ـ أعظم الخُطى أجرًا:

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : قال رسول الله -ﷺ- : **(خياركم ألينكم مناكب في الصلاة ، وما من خطوة أعظم أجرًا من خطوة مشاها رجل إلى فرجة في الصف فسدَّها)** [٦].

قال أبو داود: «(معنى لينو بأيدي إخوانكم) إذا جاء رجل إلى الصف فذهب يدخل فيه، فينبغي أن يلين له كل رجل منكبيه ، حتى يدخل في الصف ».

واعلم أخي الكريم أن سد الفرج من تسوية الصفوف. تلك العبادة العظيمة التي أمرنا بها النَّبي -ﷺ- وكان يهتم بها بالغ الاهتمام ، ويحذر من تركها والتفريط فيها في غير ما حديث ، وفي غير ما مناسبة ، ومن ذلك :

١ـ أمره -ﷺ- بتسوية الصفوف :

عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -قال : قال رسول الله -ﷺ- : **(أحسنوا إقامة**

(١) يوقوقه فيه ، وسد فرجة منه.
(٢) برحمته ورفع درجته. (فيض القدير) .
(٣) بأن كان فيه فخرج منه لغير حاجة ، أو جاء إلى الصف ، وترك بينه وبين من بالصف فرجة بلا حاجة (فيض قدير : ٢ / ٧٥).
(٤) أخرجه أبو داود (٦٦٦)، والنسائي : (٨١٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب : (٤٩٥).
(٥) أخرجه أبو داود : (٥٤٣)، وهو في صحيح الترغيب : (٥٠٧).
(٦) رواه الطبراني في الأوسط : (١٣٤٩٤)أ، وهو في الصحيحة :(٢٥٣٣).

الصفوف في الصلاة) [١].

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا : (**سووا صفوفكم فإن تسوية الصفوف من تمام الصلاة)** [٢].

٢ حثه -صلى الله عليه وسلم- على التشبه بالملائكة في صفوفها :

عن جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبي -صلى الله عليه وسلم- قال : (**ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها ؟ قال : يتُمون الصفوف الأول ويتراصون** [٣]**في الصف)**. وهذا الحديث يوضح كيفية إقامة الصفوف ، وإحسانها.

٣ عدم تسوية الصفوف يؤدي إلى اختلاف القلوب :

عن أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:(**استووا، ولا تخالفوا، فتختلف قلوبكم)** [٤].

وعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يسوي صفوفنا ، حتى كأنما يسوي بها القداح) [٥].

قال الإمام النووي : (شرح مسلم :٤/١٢٥) : « معناه : يوقع بينكم العداوة والبغضاء، واختلاف القلوب. كما تقول : تغير وجه فلان علي ، أي ظهر لي من وجهه كراهة لي ، وتغير قلبه علي ، لأن مخالفتهم في الصفوف مخالفة في ظواهرهم، واختلاف الظواهر سبب لاختلاف البواطن ».

وعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : (كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يأتي ناحية

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده : (١٠٢٩٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب :(٤٩٩).
(٢) أخرجه مسلم : (٤٣٣).
(٣) يتراصون : يلزق بعضهم ببعض ويتضامون ، حتى لا يبقى بينهم فُرج : (بذل المجهود : ٤ / ٣٢٨)
(٤) أخرجه مسلم : (٤٣٢).
(٥) القداح : هي خشب السهام حين تنحت وتبرى وأحدها قدح ، معناه يبالغ في تسويقها حتى تصير كأنما تقوم بها السهام لشدة استوائها واعتدالها.

الصف، ويُسوي بين صدور القوم،ومناكبهم ويقول:**لا تختلفوا. فتختلف قلوبكم إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول)** رواه أبو داود والنسائي[١].

ومن خلال هذه الأحاديث تعرف تقصير بعض الأئمة من الاقتصار على قولهم : (استووا) دون النظر في الصفوف، والسعي في تسويتها،وتنبيه المخالف في ذلك، والأمر بسد الفرج ، بل بعضهم يقول: استووا دون النظر أصلًا إلى المصلين ، حيث يكون متجهًا حين قولها إلى أمامه وهذا مخالف لهديه-ﷺ- والذي كان يأتي الصف من نواحيه يمسح المناكب، والصدور، والعواتق فما كان رسول الله-ﷺ-يقول بلسانه : (استووا) ثم يكبر ويترك الخلل والفرجات كما يفعل بعض إخواننا الأئمة الآن.

وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (إذا مر بين الصفين قال : استووا ، حتى إذا لم ير فيهم خللًا ، تقدم فكبر) [٢].

وثبت عن سُويد بن غفلة أنه قال : (كان بلال يسوي مناكبنا ، ويضرب أقدامنا في الصلاة)[٣].

بل لقد كان عمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يوكلان من يقوم بتسوية الصفوف معهما ، ففي مصنف عبد الرزاق عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يُوكل رجلًا بإقامة الصفوف، ولا يكبر ، حتى يُخبر أن قد استوت الصفوف[٤].

وجاء في الموطأ :«حدثني مالك عن عمه أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه قال: كنت مع عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقامت الصلاة ،وأنا أكلمه في أن يفرض

---

(١) أخرجه أبو داود : (٦٦٤)،والنسائي: (٨١١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والتهريب : (٤٩٨).
(٢) أخرجه البخاري : (٣٧٠٠).
(٣) أخرجه عبد الرزاق : (٢ / ٤٧ / ٢٤٣٥)، وابن أبي شيبة :(٣٥٣٤).
(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه : (٢٤٣٧ / ٢٤٣٩).

لي ، فلم أزل أكلمه، وهو يسوي الحصباء بنعليه ، حتى جاءه رجال ، قد كان وكلهم بتسوية الصفوف ، وأخبروه أن الصفوف قد استوت ، فقال لي: استوي في الصف ، ثم كبَّرَ » (١).

البنيان المرصوص :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾[الصف:٤] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(التفسير ٤ / ٣٨٣) :** « قال قتادة : ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ ألم تر إلى صاحب البنيان كيف لا يحب أن يختلف بنيانه ؟ فكذلك الله عَزَّوَجَلَّ لا يحب أن يختلف أمره ، وإن الله صف المؤمنين في قتالهم، وصفهم في صلاتهم ، فعليكم بأمر الله فإنه عصمة لمن أخذ به » أ.هـ.

قال الشيخ حسين بن عودة العوايشة : (لقد آمنا بتسوية الصفوف إيمانًا عميقًا، غير أن هذا خارج المسجد ، لا داخله ، ألا ترى معي إبداع التسوية في الجيش والمدرسة ؟ ! .

هنا يقال : إنها رمز القوم ، والنظام ، والطاعة ، والرقي ! ولكنها في المسجد شكليات ، وقشور ، وتفاهات لا تجدي ولا تفيد !.. لإنجاز معاملاتنا بسرعة في الدوائر والمؤسسات ، ولتجنب المشاكل والاختلافات ، لابد من النظام والاصطفاف ، أما أن تُحقق هذا في المسجد ، ليدرأ عنا الفُرقة والاختلاف فلا يُسأل عنه ، ناسين أو متجاهلين وعيد رسول الله –صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ– بهذا)(٢).

وقال : (ولننظر إلى واقع نعيشه ، وهو افتخار جيوش الأرض بجندها ، وقوتهم في عروضهم العسكرية ، من خلال حُسن الاصطفاف والترتيب ،

(١) أخرجه مالك في الموطأ : (١/ ١٠١).
(٢) تسوية الصفوف وأثارها في حياة الأمة (ص: ١٤ ١٥).

فلا ترى عوجًا ولا خللًا ، والمسافات منتظمة مُنسقة ، والمناظر باهرة ، وترى الناظرين ، وقد أخذت ألبابهم ، وأخذتهم الدهشة وأذهلتهم.

وأما المدارس، فلا تسأل عن الاهتمام البالغ في تسوية الصفوف فيها ، وإقامتها وتنظيمها.

أليس أصحاب المساجد أولى الناس أن يهتموا بإقامة الصفوف ، وجودة تراصها ، كما تصف الملائكة عند ربها سبحانه وتعالى ؟! » [(١)].

وجوب تسوية الصفوف :

مما تقدم من الأدلة يتضح بجلاء ، وجوب تسوية الصفوف ، قال الإمام ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (المحلى : ٤/ ٧٥) : « تسوية الصف إذا كان من إقامة الصلاة: فهو فرض، لأن إقامة الصلاة فرض ، وما كان من الفرض فهو فرض ».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(مجموع الفتاوى : ٣٩٤/٢٣):** «ولو لم يكن الاصطفاف واجبًا، لجاز أن يقف واحد خلف واحد، وهلم جرا... ».

وقال الإمام الصنعاني-رَحِمَهُ ٱللَّهُ- **في (سبل السلام ٧٥/٢)** بعد ذكره عدة أحاديث في هذا الباب:« وهذه الأحاديث والوعيد الذي فيها دالة على وجوب ذلك ، وهو مما تساهل فيه الناس...».

كيف تسوي الصفوف :

عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : (وكان أحدنا يُلزقُ منكبه بمنكب صاحبه ، وقدمه بقدمه) [(٢)].

(١) (ص : ١٠) من المرجع السابق .
(٢) أخرجه البخاري : (٧٢٥).

وفي رواية : (**فلقد رأيت أحدنا يلصق منكبه بمنكب صاحبه ، وقدمه بقدمه ، فلو ذهبت تفعل هذا اليوم ، لنفر أحدكم كأنه بغل شموس**).

وعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (فرأيت الرجل يلزق منكبه بمنكب صاحبه، وركبته بركبة صاحبه ، وكعبه بكعبه) (١).

فمما سبق يتبين أن تسوية الصفوف تعني :

١- إلصاق منكب المرء بمنكب صاحبه ، وقدمه بقدمه ، وركبته بركبته ، وكعبه بكعبه.

٢- مراعاة المحاذاة بين المناكب، والأعناق، والصدور ، بحيث لا يتقدم عنق على عنق ، ولا منكب على منكب ، ولا صدر على صدر.

وثبت عنه-ﷺ-أنه قال:(**حاذوا بين المناكب**)(٢).

وقوله:(**وحاذوا بالأعناق**) (٣).

النهي عن الصلاة بين السواري:

عن عبد الحميد بن محمود قال : (صليت مع أنس بن مالك يوم الجمعة ، فدفعنا إلى السواري ، فتقدمنا وتأخرنا ، فقال أنس : كنا نتقي هذا على عهد رسول الله ﷺ) (٤).

وفي رواية لمعاوية بن قرة عن أبيه قال : (كنا نُنهى أن نصف بين السواري على عهد رسول الله-ﷺ-ونُطرد عنها طردًا) (٥).

(١) أخرجه أبو داود : (٦٦٢).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) أخرجه أبوداود(٦٦٧) والنسائي :(٨١٥)، وانظر صحيح أبي داود :(٦٧٣).
(٤) أخرجه أبو داود : (٦٧٣)، والنسائي : (٨٢١)، وانظر الصحيحة : (٣٣٥).
(٥) أخرجه ابن ماجه : (١٠٠٢)، وهو في صحيح ابن ماجه للألباني : (٨٢١).

قال البيهقي : « وهذا والله أعلم لأن الأسطوانة تحول بينهم وبين وصل الصف »(١).

وقد ذهب الإمام أحمد وإسحاق والنخعي. وروى سعيد بن منصور في سننه النهي عن ذلك عن ابن مسعود وابن عباس وحذيفة(٢).

قال ابن سيد الناس : ولا يعرف لهم مخالف في الصحابة.

قال ابن العربي : ولا خلاف في جوازه عند الضيق ، وأما عند السعة فهو مكروه للجماعة ، فأما الواحد فلا بأس به ، وقد صلى النَّبي -ﷺ- في الكعبة بين سواريها انتهى.

(١) انظر الصحيحة : (٣٣٥).

(٢) نيل الأوطار : (٢ / ٢٤٢) وقد ذهب إلى جواز الصلاة بين السواري أبو حنيفة ، ومالك، والشافعي، وابن النذر قياسًا على الإمام والمنفرد ، قالوا:وقد ثبت أن النَّبي -ﷺ- صلى بين ساريتين قال ابن رسلإن: وأجازه الحسن وابن سيرين وكان سعيد بن جبير ، وإبراهيم التميمي، وسويد بن غفلة يؤمون قومهم بين الأساطيل.

جزيل الأجر والعطاء لمن دخل السوق فقال الدعاء

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: **(من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه ،له الملك ، وله الحمد ، يحي ويميت ، وهو حي لا يموت بيده الخير ، وهو على كل شي قدير ، كتب الله له ألف ألف حسنة ، ومحا عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة ، وبنى الله له بيتًا في الجنة)** رواه الترمذي وابن ماجه [١].

لما كانت الأسواق مكان الغفلة ، وأبغض البقاع إلى الله ، وبها يرفع الشيطان رايته ، كان لذاكر الله هذه الأجور العظيمة ، والفضائل الكريمة.

قال الطيبي : خصه بالذكر لأنه مكان الغفلة عن ذكر الله ، والانشغال بالتجارة فهو موضع سلطنة الشيطان ، ومجمع جنوده ، فالذكر هناك يحارب الشيطان ، ويهزم جنوده ، فهو خليق بما ذكر من الثواب.انتهى[٢].

وفي الحديث استحباب عمارة أوقات وأماكن الغفلة بالطاعة ومثله ما جاء عند النسائي من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال:قلت لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان ؟ ، فقال -صلى الله عليه وسلم-: **(ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين ، وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم)**[٣].

وكذلك العبادة في الفتن وما ورد من عظيم الأجر فيها وأنها كهجرة إلى

(١) أخرجه الترمذي :(٣٤٢٩)،وابن ماجه : (٢٢٣٥) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع : (٦٢٣) وجاء من حديث عمر بن الخطاب دون ذكر (وبنى الله له بيتًا في الجنة) في الترمذي : (٣٤٢٨) في صحيح الترغيب : (١٦٩٤).

(٢) تحفة الأحوذي : (٩ / ٢٧٢)

(٣) أخرجه النسائي : (٢٣٥٧) وهو في صحيح النسائي للألباني : (٢٢٢١)

النَّبي -ﷺ- فعن معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبي -ﷺ- قال : **(العبادة في الهرج[1] ، كالهجرة إليَّ)** [2].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ **(شرح مسلم : ١٨/ ٧١) :**

«وسبب كثرة فضل العبادة فيه أن الناس يغفلون عنها، ويشغلون عنها، ولا يتفرغ لها إلا أفراد » أ.هـ.

قلت: وكذلك هي في الأسواق ، وما يشتهر فيها من الغفلة عن ذكر الله تعالى، فمن أجل ذلك كانت تلك المزايا لمن انتبه لذكر الله وعبادته ، في غفلة الناس وسباتهم ، وهؤلاء هم الذين قال الله عزوجل فيهم : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النور:٣٧].

وكانوا فعلًا الممتثلين لقول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾

[المنافقون: ٩].

وفي وصف هؤلاء الذين أُنسهم هو ذكر ربهم تبارك وتعالى. يقول العلامة ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ- (مدارج السالكين ٢ / ٣١٥) : « وهو قوت قلوب القوم ، الذي متى فارقها ، صارت الأجساد لها قبورًا. وعمارة ديارهم التي تعطلت عنه صارت بورًا ، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم، انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل، والعلاقة التي كانت بينهم، وبين علام الغيوب :

(١) قال النووي (شرح مسلم : ١٨ / ١٧):(المراد بالهرج هنا الفتنة واختلاط الأمور بالناس).
(٢) أخرجه مسلم : (٢٩٦٥).

إذا مرضنا تداوينا بذكركم .. فنترك الذكر أحيانا فننتكسُ

به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات إذا أظلهم البلاء ، فإليه ملجؤهم ، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم. فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون ، ورءوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون، يدع القلب الحزين ضاحكًا مسرورًا، ويوصل الذكر إلى المذكور، بل يدع الذاكر مذكورًا » أ.هـ.

أبغض البلاد إلى الله :

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: **(أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها)** رواه مسلم [(١)].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ **(شرح مسلم : ٥ / ١٤٠) :** « قوله (وأبغض البلاد إلى الله أسواقها) لأنها محل الغش والخداع ، والربا ، والإيمان الكاذبة ، وإخلاف الوعد ، والإعراض عن ذكر الله ، وغير ذلك مما في معناه» أ.هـ.

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ **:** (قال الطيبي : تسمية المساجد ، والأسواق بالبلاد خصوصًا ، تلميح إلى قوله تعالى : ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[الأعراف:٥٨].

وذلك لأن زوار المساجد : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾[النور:٣٧].

وقُصاد الأسواق شياطين الجن والأنس من الغفلة ، والحرص، والشره ، وذلك لا يزيد إلا بعدًا من الله ، ومن أوليائه ، ولا يورث إلا دنوًا من الشيطان

(١) أخرجه مسلم : (٦٧١).

وأحزابه ، اللهم إلا من يغدو إلى طلب الحلال، الذي يصون به عرضه ودينه. ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ [البقرة :٣١٧].

والأسواق معدن النوال ، ومكان الأرزاق ، والأفضال، وهي مملكة وضعها الله لأهل الدنيا ، يتداولون فيها ملك الأشياء ، لكن أهل الغفلة إذا دخلوها تعلقت قلوبهم بهذه الأسباب ، فاتخذوها دولًا فصارت عليهم فتنة فكانت أبغض البقاع من هذه الجهة ، وإلا فالأسواق رحمة من الله تعالى ، جعلها معاشًا لخلقه ، يُدَرُّ عليهم أرزاقهم فيها من قطر ، وقطر ، لتوجد تلك الأشياء عند الحاجة. لو لم يكن ذلك لاحتاج كلٍ منا إلى تعلم جميع الحرف ، والترحال إلى البلاد ليلًا ونهارًا ، فوضع السوق نعمةً ، وأهل الغفلة صُدوا عن هذه الرحمة ، ودنسوا أنفسهم بتعاطي الخطايا فيه ، فصارت عليهم نقمة ، وأما أهل اليقين فهم وإن دخلوها ، قلوبهم متعلقة بتدبير الله ، فسلموا من فتنها ، ومن ثم كان المصطفى -ﷺ- يدخل السوق ويشتري ويبيع » ا.هـ[(١)].

وقال الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:«وإنما قرن المساجد بالأسواق مع وجود ما هو شر منها من البقاع؛ ليقابل بين معنى الالتهاء، والاشتغال، وأن الأمر الديني يدفعه الأمر الدنيوي».

وقال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(شرح البخاري ٦ / ٢٤٩):** « هذا إنما خرج على الأغلب، لأن المساجد يذكر فيها اسم الله ، والأسواق قد غلب عليها اللغط ، واللهو ، والاشتغال بجمع المال والتكالب على الدنيا من الوجه المباح وغيره ، وأما إذا ذُكر الله في الأسواق فهو من أفضل الأعمال » أ.هـ.

وقال الملا علي القاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(مرقاة المفاتيح ٢: /٣٧٤) :** « وهذا بطريق الأغلبية ، وإلا فقد يقصد المسجد بقصد نحو الغيبة ، وقد يدخل

(١) فيض القدير : (١ / ١٧١).

السوق بطلب الحلال ، ولذا قيل : كن ممن يكون في السوق وقلبه في المسجد ، لا بالعكس فالجمع بين القلب والقالب في المسجد أكمل. ولا شك أن المساجد محل التقرب إلى الله تعالى والأسواق محل أفعال الشياطين ، من الحرص ، والطمع ، والخيانة ، والغفلة « أ.هـ.

قال أبو عبد الله المالكي المعروف بابن الحاج في (المدخل ٤/٦٩) :
(وينبغي له ألا يكثر من الجلوس في السوق إلا أن تدعو ضرورة شرعية إلى ذلك لأن السوق محل عامة الناس غالبًا ممن لا علم عنده ، ومحل الشياطين فينبغي للإنسان ألا يكثر من ذلك. اللهم إلا أن يكون مرجوعًا إليه فيما يأمر به، أو ينهى عنه ، فجلوسه والحالة هذه رحمة بأهل السوق سيما في حق معارفه وإخوانه إذ بسبب جلوسه في السوق تتبين به المصالح والمفاسد وقد يكون أهل السوق، أو بعضهم غافلين هنا ، فينتبهون إليه بسببه) أ.هـ.

معركة الشيطان:

عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :(لا تكونن إن استطعت ، أول من يدخل السوق، ولا آخر من يخرج منها ، فإنها معركة الشيطان ، وبها ينصب رايته) رواه مسلم[1] هكذا.

وعند البزار عن سلمان عن النَّبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قال : إن....الحديث.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ **(شرح مسلم ١٦/٧):** « قوله في السوق: « إنها معركة الشيطان « : قال أهل اللغة : المعركة بفتح الراء موضع القتال لمعاركة الأبطال بعضهم بعضًا فيها مصارعتهم ، فشبه السوق وفعل الشيطان بأهلها، ونيله منهم بالمعركة ، لكثرة ما يقع فيها من أنواع الباطل ، كالغش، والخداع ،

(١) أخرجه مسلم : (٢٤٥١).

والأيمان الخائنة ، والعقود الفاسدة ، والنجش ، والبيع على بيع أخيه، والشراء على شرائه ، والسوم على سومه ، وبخس المكيال والميزان.

قوله: «وبها ينصب رايته«: إشارة إلى ثبوته هناك ، واجتماع أعوانه إليه، للتحرش بين الناس وحملهم هذه المفاسد المذكورة ونحوها، فهي موضعه، وموضع أعوانه، والسوق تؤنث وتذكر ، سميت بذلك لقيام الناس، فيها على سوقهم» أ.هـ.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(التفسير٣٢٦/٧)** وهو يعلق على ما ذكره عن قول بعض أهل العلم : أنه لا يدخل إلا سوق الكتب والسلاح .

قال : « قلت : ما ذكرته مشيخة أهل العلم فنعما هو فإن ذلك خالٍ عن النظر إلى النسوان ومخالطتهن، إذ ليس بذلك من حاجتهن وأما غيرهما من الأسواق فمشحونة منهن ، وقلة الحياء قد غلبت عليهن ، حتى ترى المرأة في القيساريات وغيرهن قاعدة متبرجة بزينتها ، وهكذا من المنكر الفاشي في زماننا هذا. ونعوذ بالله من سخطه » أ.هـ.

قلت -أبو مالك-: فكيف لو رأى الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ زماننا هذا، وما وصلت إليه كثير من نساء المسلمين من الخراجات الولاجات ، اللاتي لا عمل لديهن إلا المزاحمة للرجال في الأسواق بل وبعضهن لا عمل لها إلا تطويف السوق من أوله إلى آخره ، تعرض نفسها للرجال ، قد كشفت عن مفاتنها ، ولبست من اللباس ما يفوق التبرج الذي تحدث عنه الإمام -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- ، وتُحادث الباعة بكل جرأة ودون أي مسكة حياء ، كأنه أخوها أو أبوها، بل أقول : لكأنه زوجها ، نسأل الله العافية، والستر على عورات المسلمين.

آداب وأحكام لمن يرتاد الأسواق أو يعمل فيها :

القيام بحقوق الطريق:

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبي -ﷺ- قال: **(إياكم والجلوس في الطرقات)** فقالوا : يا رسول الله مالنا من مجالسنا بُد نتحدث فيها. فقال: **(إذا أبيتم إلا المجلس فاعطوا الطريق حقه)** قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: **(غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر)** متفق عليه[١].

فمن مجموع هذه الروايات تجتمع عدد من حقوق الطريق :

١-غض البصر. ٢- كف الأذى.

٣- رد السلام. ٤ -الأمر بالمعروف.

٥-النهي عن المنكر.

إفشاء السلام :

صح عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: « إن كنتُ لأخرج إلى السوق وما لي إلا أن أُسلـم، ويُسلم علي »[٢].

وإفشاء السلام طريق لتآلف القلوب واجتماعها ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:قال رسول الله-ﷺ-: **(لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شي إن فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم)**[٣].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: **(شرح مسلم : ٢ /٣٠) :** « والسلام : أول أسباب التآلف، ومفتاح استجلاب المودة ، وفي إفشائه تمكن ألفة المسلمين

(١) رواه البخاري : (٢٤٦٥)، ومسلم : (٢١٢١).
(٢) أخرجه ابن أبي شيبه : (٨/ ٤٥٠).
(٣) أخرجه مسلم : (٥٤).

بعضهم لبعض ، وإظهار شعارهم ، المميز لهم من غيرهم من أهل الملل ، مع ما فيه من رياضة النفس، ولزوم التواضع ، وإعظام حرمات المسلمين ».

غض البصر :

وغض البصر مأمور به الرجال والنساء ، كما في كتاب رب الأرض والسماء، إذ يقول تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور: ٣٠ - ٣١].

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ **: (التفسير ٧/ ٢٣٦) :** «البصر هو الباب الأكبر إلى القلب ، وأعمر طريق الحواس إليه ، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته ، ووجب التحذير منه ، وغضه واجب عن جميع المحرمات، وكل ما يخشى الفتنة من أجله » أ.هـ.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ**(الداء والدواء : ١٠٦) :** « والنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان، فإن النظرة تولد خطرة ، ثم تولد الخطرة فكرة، ثم تود الفكرة شهوة ، ثم تولد الشهوة إرادة ، ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة ، فيقع الفعل ولا بد ، ما لم يمنع منه مانع ، وفي هذا قيل : الصبر على غض البصر أيسر من الصبر على ألم ما بعده » أ.هـ.

قلت:من أكثر الأماكن عرضة لأن يطلق المسلم بصره، ويترك العنان

لناظريه، هي الأسواق والتي يكثر فيها المتبرجات، والكاسيات العاريات ، واللاتي قل حياؤهن ، وذهبت غيرة أهلهن ، لاسيما الأسواق التي تتاجر بما يخص النساء ، فلذلك ينبغي للمسلم أن يحرص على غض بصره ، وعدم فلتان قلبه. فاللهم ثبتنا على دينك.

حُسن المعاملة :

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال : (**رحم الله رجلًا سمحًا إذا باع ، وإذا اشترى ، وإذا اقتض**) (١).

وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: (**إن رجلًا كان فيمن كان قبلكم أتاه الملك ليقبض روحه ، فقيل له : هل عملت من خير ؟ ، قال: ما أعلم.قيل له : انظر ، قال: ما أعلم شيئًا غير أني كنت أبايع الناس في الدنيا وأجازيهم، فأُنظر الموسر ، وأتجاوز عن المعسر، فأدخله الله الجنة**) (٢).

والتاجر الذي يحسن معاملة الناس ، ينال محبتهم وثقتهم ، ويكون هذا سببًا، لإنفاق سلعته ، ورواج تجارته ، وقبل هذا أو ذاك ، هو ممتثل لأمر ربه ، منقاد لخالقه ، متأسٍ برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الصدق في المعاملة :

الصدق خصلة حميدة،يحبها الله ورسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهي منجاة للعبد من عذاب الله، قال تعالى : ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩ ﴾[المائدة :١١٩].

فلذا كان لزامًا على المؤمن أن يتصف بالصدق لاسيما في بيعه وشرائه. فعن حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا،**

(١) أخرجه البخاري : (٢٠٧٦).
(٢) أخرجه البخاري : (٣٤٥١)، ومسلم : (١٧٣٤).

فإن صدقا وبيَّنا بُورك لهما في بيعهما ، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما) [(١)].

فالمخاطب بهذا الحديث البائع والمشتري على حد سواء ، وهما مأموران بالتحلي بالصدق في بيعهما.

لا تكن سخَّابًا في الأسواق :

عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قلت: أخبرني عن صفة رسول الله -ﷺ- في التوراة : قال :أجل إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن :« يا أيها النَّبي إنا أرسلناك شاهدًا، ومبشرًا، ونذيرًا، وحرزًا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظٍ غليظ، ولا سخَّاب في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، ويفتح به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًا ، وقلوبًا غُلفًا » [(٢)].

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: (لم يكن -ﷺ- **فاحشًا ولا متفحشًا ولا سخابًا**[(٣)] **في الأسواق)** رواه أحمد والترمذي في الشمائل[(٤)].

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن رسول الله -ﷺ- قال:**(إياكم وهيشات الأسواق)**[(٥)].

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ **(شرح مسلم ٤ / ١٢٥) :** « قوله -ﷺ-:(إياكم وهيشات الأسواق) هي بفتح الهاء وإسكان الياء ، والشين المعجمة ، أي اختلاطها والمنازعة، والخصومات ، وارتفاع الأصوات ، واللفظ ، والفتن التي فيها » أ.هـ.

(١) أخرجه البخاري : (٢٠٧٩) ، ومسلم : (١٥٣٢).
(٢) أخرجه البخاري : (٢١٢٥).
(٣) قال ابن منظور(لسان العرب:١/ ٥٢١، ٤٦١س خ ب):(السخب:الصياح والجلبة وشدة الصوت واختلاطه).
(٤) أخرجه أحمد : (٦ / ٢٣٦)، والترمذي في شمائله : (٣٣٢). انظر مختصر الشمائل : (٢٩٨).
(٥) أخرجه مسلم : (٤٣٢)، وأبو داود : (٦٧٤)أ.وابن ماجه (٩٧٦) ، والنسائي : (٨٠٧ ، ٨١٢).

تحريم أكل أموال الناس بالباطل :

إن الإسلام حرم الاعتداء على المسلم في عرضه، ونفسه، وماله،وأعلن ذلك الصادق المصدوق محمد-ﷺ-في حجة الوداع فقال:«**إن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا** »[1].

والله عزوجل يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ ﴾ [النساء :٢٩].

فأكل أموال الناس بالباطل ، متفشية في الأسواق ، ومن منكراتها العظام، وله صور وأقسام يجهلها كثير من الباعة ، وبعضهم عن عمد يقع في الحرام ، فكان من الواجب على البائع ، والتاجر إذا دخل السوق للبيع، والصفق أن يكون ورعًا تقيًا عنده من العلم ما يكفيه من أمور بيعه وشراءه حتى لا يقع في مخالفة ، أو يأكل مالًا حرامًا من غير حله وهناك صور من البيع الحرام التي يقع فيها كثير من الناس كالغش والربا وبيع النجش[2] وغيرها من البيوع الكثيرة المحرمة التي يجب على الباعة تعلمها، ومعرفة فقهها لتكون السلامة لأموالهم وتجارتهم. فاللهم فقهنا في الدين ، وعلمنا التأويل.

كثرة الحلف في البيع :

كثرة الحلف في البيع مما نهى الله عنه ورسوله ، وما يصنعه بعض الباعة من إنفاق سلعتهم بالحلف هو من هذا القبيل ، ويكون أشر وأعظم ، إذا كانت الإيمان كاذبة، والأقسام فاجرة.

قال الله –عَزَّوَجَلَّ– : ﴿ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن

(١) أخرجه البخاري : (١٥١٦)، ومسلم : (١٢١٨).
(٢) هو أن يزيد في ثمن السلعة من لا يريد شرائها ليغري المشتري بالزيادة.

كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [النحل:٩٥].

روى البخاري عن عبد الله بن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا أقام سلعة ، وهي في السوق ، فحلف بالله لقد أعطى بها ما لم يُعط ، ليُوقع فيها رجلًا من المسلمين، فنزلت: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ [آل عمران:٧٧] (١).

وعن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله -ﷺ- قال : **(إياكم وكثرة الحلف في البيع، فإنه ينفق ثم يمحق)** (٢). وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله -ﷺ- قال: «**الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة**» (٣).

وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله -ﷺ- قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**» (٤).

واعلم أخي الكريم أن رزقك بيد الله ، والله عَزَّوَجَلَّ هو من يسوق لك الأرزاق ، ويأتيك بالمشترين ، وهو من يوفق لكل هذا ، فلا يحملك استبطاء الرزق أن تطلبه بمعصية الله، فعليك بالضوابط الشرعية، فبها يُبارك لك في رزقك وإن كان قليلًا ، ثم اعلم أن الدنيا زائلة لا بقاء لها وكما يقال : (إنما الطمع في طاعة الله).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٧].

(١) أخرجه البخاري : (١٩٨٢).
(٢) أخرجه مسلم : (١٦٠٧).
(٣) أخرجه البخاري : (١٩٨١)، ومسلم : (١٦٠٦).
(٤) تقدم تخريجه.

من عاد مريضًا أو زار أخًا، تبوأ من الجنة منزلًا

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله -ﷺ-: **(من عاد مريضًا أو زار أخًا له في الله ، ناداه منادٍ أن طبت وطاب ممشاك ، وتبوأت من الجنة منزلًا)** [(١)].

إن من خير الخطى خطوة يمشي بها العبد إلى أخ مريض ، فيعوده في مرضه ويواسيه في بلوته ، وأخرى يزور فيها أخًا له في الله.

ما جمعهما إلا التحاب في الله ، فزاره لله وفي الله ، ليس من وراء زيارته تلك أي أغراض دنيوية ، أو مصالح دنية.

فكان بذلك طيب النفس ، وطيب الممشى ، ثم كانت نهاية هذه الخطى إلى جنة المأوى ، ومنزل في درجاتها العُلى.

عيادة المريض:

إن المؤمن إذا أصابه المرض ، ونزل به البلاء ، احتاج إلى من يعوده ليواسيه، ويزوره ليسليه ، وجعل الباري اللطيف في الشرع الحنيف. زيارة المريض وعيادته من حقوق المسلمين بعضهم مع بعض ولقد كانت من أخلاق النَّبي -ﷺ- عيادة المرضى ، وتفقد أحوالهم فمن ذلك :

١- عن زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:(عادني رسول الله -ﷺ-من وجع كان بعيني)[(٢)].

٢- عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : (جاءني رسول الله -ﷺ-يعودني

(١) أخرجه الترمذي :(٢٠٠٨)، وابن ماجه :(١٤٤٣)،وصححه الألباني في صحيح الترغيب: (٢٥٧٨)
(٢) أخرجه أبو داود :(٣١٠٢) ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود :(٢٧١٠٦).

ليس براكب بغل ولا برذون)[١]

٣- عن أم العلاء - رضي الله عنها - قالت : عادني رسول الله -صلى الله عليه وسلم-وأنا مريضة فقال : (ابشري يا أم العلاء ، فإن مرض المسلم يُذهب الله به خطاياه كما تذهب النار خُبث الذهب والفضة). [٢].

٤- عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: (عادني النَّبي -صلى الله عليه وسلم-- عام حجة الوداع من مرض أشفيت منه على الموت) [٣].

٥- عن أنس بن مالك رضي الله عنه (أن غلامًا من اليهود كان يخدم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فمرض فأتاه يعرض عليه الإسلام فأسلم) رواه البخاري[٤].

٦- عن عائشة رضي الله عنها قالت : (لما أُصيب سعد بن معاذ يوم الخندق رماه في الأكحل، فضرب عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-خيمة في المسجد ليعوده من قريب)[٥].

٧- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال : كنا جلوسًا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذ جاءه رجل من الأنصار فسلم عليه ، ثم أدبر الأنصاري ، فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: **(يا أخا الأنصار كيف أخي سعد بن عباده ؟)** ، فقال: صالح ، فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-:**(من يعوده منكم؟)** فقام وقمنا معه ، ونحن بضعة عشر ، ما علينا نعال ولا خفاق ولا قلانس ، ولا قمص ، نمشي في تلك السباخ[٦] حتى جئناه: فاستأخر قومه من حوله ، حتى دنا رسول الله-صلى الله عليه وسلم-

(١) أخرجه البخاري :(٥٦٦٤).
(٢) أخرجه أبو داود : (٣٠٩٢)، وهو في الصحيحة للألباني برقم :(٧١٤).
(٣) أخرجه البخاري : (٣٩٣٦)، ومسلم : (١٦٢٨).
(٤) أخرجه البخاري : (١٣٥٦).
(٥) أخرجه البخاري : (٤٦٣)، ومسلم :(١٧٦٩).
(٦) جمع سبخة : وهي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر.

وأصحابه الذين معه »⁽¹⁾.

٨- عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن ابنة للنبي -ﷺ- أرسلت إليه وهو مع النَّبي -ﷺ-، وسعد وأُبي بن كعب -نحسب- أن ابنتي قد حضرت فاشهدنا، فأرسل إليها السلام، ويقول: (**إن لله ما أخذ وما أعطى، وكُل شيء عنده مسمى، فلتحتسب ولتصبر**)، فأرسلت تقسم عليه، فقام النَّبي -ﷺ- وقمنا، فرفع الصبي في حجر النَّبي-ﷺ-ونفسه تقعقع، ففاضت عينا النَّبي -ﷺ-: فقال له سعد ما هذا يا رسول الله ؟، فقال: (**هذه رحمة وضعها الله في قلوب من شاء من عباده. ولا يرحم الله من عباده إلا الرحماء**) رواه البخاري، وبوب عليه باب عيادة الصبيان[2].

وهذه الأحاديث بينت حرصه -ﷺ- على عيادة المرضى من أصحابه من كبار وصغار، ورجال ونساء، بل حتى الكافر عاده النَّبي-ﷺ-يدعوه للإسلام.

الأمر بعيادة المريض:

١- عن البراء بن عازب - رضي الله عنهما - قال: (**أمرنا رسول الله -ﷺ- بعيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، وإبرار المقسم، ونصر المظلوم، وإجابة الداعي، وإفشاء السلام**)[3].

٢- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله -ﷺ-: (**عودوا المريض، وأطعموا الجائع، وفكوا العاني**)[4].

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله -ﷺ- قال (**حق المسلم على**

(١) رواه مسلم: (٩٢٥).
(٢) برقم: (٥٦٥٥).
(٣) أخرجه البخاري: (٦٢٣٥)، ومسلم: (٢٠٦٦) واللفظ له.
(٤) أخرجه البخاري: (٥٦٤٩).

المسلم خمسُ: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس) متفق عليه [٥] وقد بوب الإمام البخاري في صحيحه على حديث البراء وأبي موسى الأشعري (باب وجوب عيادة المريض) قال الحافظ ابن حجر (الفتح :١٠/ ١١٢) : « كذا جزم بالوجوب على ظاهر الأمر بالعيادة. وقد تقدم حديث أبي هريرة في الجنائز: **(حق المسلم على المسلم خمس فذكر منها عيادة المريض)**، ووقع في راوية لمسلم : **(خمس تجب للمسلم على المسلم)**.

قال ابن بطال : (يحتمل أن يكون الأمر على الوجوب بمعنى الكفاية كإطعام الجائع، وفك الأسير، ويحتمل أن يكون للندب للحث على التواصل والألفة. وجمع الداودي بالأول، فقال: هي فرض يحمله بعض الناس عن بعض، وقال الجمهور : هي في الأصل ندب، وقد تصل إلى الوجوب في حق بعض دون بعض، وعن الطبري : تتأكد في حق من ترجى بركته، ونقل النووي الإجماع على عدم الوجوب[٦] يعني على الأعيان » أ.هـ.

وقد رجح العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن عيادة المريض فرض على الكفاية[٧].

فضل عيادة المريض:

عن ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله -ﷺ- :**(إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة[٨] الجنة حتى يرجع، قيل يا رسول الله وما خرفة الجنة ؟، قال: جناها)**[٩].

(٥) أخرجه البخاري : (١٢٤٠)، ومسلم : (٢١٦٢).
(٦) شرح مسلم :(٤/ ٣٣).
(٧) شرح رياض الصالحين :(٢/ ١١٦٩).
(٨) هي سكة بين صفين من نخل يختر من أيهما شاء أي يجتني، وقال النووي : أي يئول به ذلك إلى الجنة واجتناء ثمارها، شرح مسلم :(١٦ / ١١٩).
(٩) رواه مسلم : (٢٥٦٨).

عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سمعت رسول الله -ﷺ-يقول : **(ما من مسلم يعود مسلماً غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي ، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وكان له خريفًا في الجنة)** رواه الترمذي[1] وقال حديث حسن (والخريف :الثمر المخروف)، أي :المجتنى.

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله-ﷺ-: **(خمس من عملهن في يوم كتبه الله من أهل الجنة : من صام يوم الجمعة ، وراح إلى الجمعة ، وعاد مريضًا ، وشهد جنازةً ، وأعتق ر قبةً)** [2].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله-ﷺ-قال : **(إن الله عزوجل - يقول يوم القيامة : (يا ابن آدم مرضت فلم تعدني - قال يا رب :كيف أعودك وأنت رب العالمين؟. قال : أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده ؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ؟...»** [3].

قال العلامة العثيمين (شرح الرياض ٢: / ١١٧١) : « المراد بالمرض مرض عبد من عباده الصالحين«، وقال (٢/ ١١٧٠): « ففيه دليل على استحباب عيادة المريض » أ.هـ.

عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله -ﷺ -: **(خمس من فعل واحدة منهن كان ضامنًا على الله: من عاد مريضًا، أو خرج مع جنازة، أو خرج غازيًا، أو دخل على إمام يريد تعزيره وتوقيره ، أو قعد في بيته فسلم الناس منه ، وسلم من الناس)**[4].

عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله-ﷺ-: **(عائد المريض**

(١) رواه الترمذي : (٩٦٩). والغدوة : مابين صلاة الصبح وطلوع الشمس. (والعشية) : من صلاة المغرب إلى العتمة، وقيل مابين الزوال إلى الغروب. انظر مختار الصحاح :(٢٣٠ ٢٤٨). والحديث في صحيح الجامع : (٥٧٦٧).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحة : (٤/ ١٩١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع : (٣٢٥٢).

(٣) أخرجه مسلم : (٢٥٦٩).

(٤) أخرجه أحمد : (٥/ ٢٤١)، والطبري :(٠٢/ ٣٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع : (٣٢٥٣).

في خرفة الجنة ، فإذا جلس عنده غمرته الرحمة) [١].

آداب عيادة المريض:

وبعد أن علمنا فضل عيادة المريض وما فيه من الامتثال لأمر الله تعالى وأمر رسوله -ﷺ-، كان ينبغي للمؤمن أن يعلم الآداب التي يتحلى بها في عيادته للمريض ، فإن بعض الناس لا يحسن الأدب في ذلك ، مما يجعل المريض يتمنى أنه لم يزره، أو يحل داره. ولذلك يقول الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عيادة النوكى (الحمقى) أشد على المريض من وجعه[٢].

وهناك بعض الآداب التي ينبغي أن يراعيها المؤمن في عيادته للمريض:

١-الثناء على المريض بمحاسن أعماله ، وتذكيره بحُسن الظن بالله تعالى:

عن عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال لعمر بن الخطاب حين طُعن ،وكان يجزعه: يا أمير المؤمنين ولا كل ذلك قد صحبت رسول الله -ﷺ- فأحسنت صحبته ثم فارقك وهو عنك راض، ثم صحبت المسلمين، فأحسنت صحبتهم، ولئن فارقتهم لتفارقهم وهم عنك راضون...» فقال عمر: ذلك من منَّ الله تعالى.[٣]

٢- الدعاء له ورقيته:

أ – عن عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أ ن النَّبي -ﷺ-دخل على أعرابي يعوده، قال: وكان النَّبي -ﷺ- إذا دخل على من يعوده قال: **(لا بأس طهور إن شاء الله)**.[٤]

---

(١) أخرجه البزار: (١٠٣٦). وصححه الألباني في الصحيحة برقم : (١٩٢٩).
(٢) عيون الأخبار (٣/ ٤٤).
(٣) أخرجه البخاري : (٣٦٩٢).
(٤) أخرجه البخاري : (٥٦٥٦).

ب- عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **(أن جبريل أتى النَّبي -ﷺ- فقال : يا محمد اشتكيت؟، قال: نعم ، قال: بسم الله أرقيك ، ومن كل شي يؤذيك ، من شر كل نفس أو عين حاسد ، الله يشفيك ، بسم الله أرقيك)** (١).

جـ -عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله-ﷺ- كان إذا عاد مريضًا يقول : **(أذهب البأس ، رب الناس ، اشفه أنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً، لا يُغادر سقمًا)** (٢).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ **(فتح الباري :١٠/ ١٩٥) :** « أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط : أن يكون بكلام الله تعالى ،أو بأسمائه وصفاته ، وباللسان العربي ، أو بما يعرف معناها من غيره ، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى ، واختلفوا في كون الأخير شرطًا ، والراجح أنه لابد من الشروط الثلاثة «أ.هـ. وفي صحيح مسلم : **(لا بأس بالرقي ما لم يكن فيه شرك)**(٣).

٣- تحقيق الجلوس ، وقلة الصخب عنده :

عن عبد الله بن عباس – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – قال : (من السُنَّة تحقيق الجلوس ، وقلة الصخب في العيادة عند المريض. قال : قال رسول الله-ﷺ-لما كثر لفظهم وخلافهم : **(قوموا عني)** (٤).

قال الحافظ : (فتح الباري : ١٠-١١٣) : « ومن آدابها أن لا يطيل الجلوس حتى يضجر المريض ، ويشق على أهله ، فإن اقتضى ذلك ضرورة فلا بأس » أ.هـ .

---

(١) أخرجه مسلم : (٢١٨٦).
(٢) أخرجه مسلم : (٢١٩١) باب استحباب عيادة المريض.
(٣) أخرجه مسلم : (٢٢٠٠) عن عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٤) أخرجه البخاري : (١١٤).

٤- لا تنكد على المريض بكثرة الأسئلة :

بعض الناس إذا عاد مريضًا أكثر عليه من الأسئلة ، كأنه طبيب يعالجه ، مما يسبب الملل والضيق للمريض ، قال ابن قتيبة : وقع رجل من أهل المدينة فوثئت[١] رجلاه فجعل الناس يدخلون عليه ويسألونه فلما أكثروا عليه وأضجر كتب قصته في رقعة ، فكان إذا دخل عليه عائد وسأله رفع إليه الرقعة[٢].

وروي أن نبطيًا وقع في موضع عال فدخلوا يسألونه : كيف وقعت ؟ فلما أكثروا عليه اخذ جرة وألقاها من يده قال : هكذا وقعت.

وفكر وراع في العيادة حال ∴ من تعوده ولا تكثر سؤالًا تنكدِ

٥ـ وضع اليد على جبهة المريض :

عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالت : (ثم وضع النَّبي –ﷺ– يده على جبهته – تعني سعدًا – ثم مسح يده على وجهه ، وبطنه : ثم قال : **(اللهم اشف سعدًا)** [٣].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ **(فتح الباري ١٠/١٢٠)** : « قال ابن بطال : في وضع اليد على المريض تأنيس له ، وتعرف لشدة مرضه ليدعو له بالعافية على حسب ما يبدوا له منه ، وربما رقاه بيده ومسح على ألمه بما ينتفع فيه العليل إذا كان العائد صالحًا) أ.هـ.

(١) أصابها وهن لا يبلغ أن يكون كسر.
(٢) عيون الأخبار :(٣/ ٤٧).
(٣)أخرجه البخاري : (٥٦٥٩) باب وضع اليد على المريض.

٦- أن يستغل الفرصة في توجيه المريض إلى ما ينفعه ، فيأمره بالتوبة والاستغفار، والخروج من حقوق الناس :

وألا يتمنى الموت فإنه منهي عنه، وأن يحثه على التداوي بالمشروع من الأدوية ، وينهاه برفق ولين بالبعد عن الحرام من الأدوية ، أو الذهاب إلى المشعوذين والكهان لقول رسول الله-ﷺ-: (**من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أُنزل على محمد** ﷺ) رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه [١]، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ويحذره من تعليق التمائم والحروز الشركية التي تحتوي على استهانة بالقرآن الكريم، ودعاء للجن والشياطين ففي حديث عقبة بن عامر أن النَّبي -ﷺ- قال: (**من علق تميمة فقد أشرك**) رواه احمد [٢].

٧- توعية المريض في أمور دينه إن كان جاهلاً :

فبعض المرضى يجهل أمر صلاته وطهارته وما شابه ، وترد عليه إشكالات في ذلك ، فإن كان العائد طالب علم ، أخبره بما ينبغي أن يقوم به في طهارته وصلاته ، وينظر إلى الوضع الذي هو عليه ، فبحسبه يكون توجيهه.وهناك غير هذه الآداب ذُكرت في مواطنها من الشروح، أو المؤلفات المستقلة بهذا الباب[٣].

---

(١)رواه أبو داود : (٣٩٠٤)، والترمذي : (١٣٥)، وابن ماجه : (٦٣٩) وهو في صحيح الترغيب برقم: (٣٠٤٧).

(٢) أخرجه أحمد ، (٤ / ١٥٦)، وصححه الألباني في الصحيحة : (٤٩٢).

(٣) انظر فتح الباري:(كتاب المرض)، وشرح مسلم للنووي: (كتاب السلام باب الطب والمرض والرقي الجزء :١٤)،وشرح رياض الصالحين للعلامة العثيمين : (كتاب عيادة المريض المجلد الثإني)، وسلسة الآداب الإسلامية (١/ آداب عيادة المريض)، وقد ألف في هذه الآداب والأحكام شيخنا الدكتور / عقيل ألمقطري في مؤلف منفرد سماه : (آداب عيادة المريض).

الفوز والظفر ببيت الحمد لمن صبر:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: **(إذا مات ولد العبد، قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟، فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي، فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة: وسموه بيت الحمد)** (١).

إن الرضا بأمر الله والصبر على أقداره من أعلى المنازل، وأرفع المراتب في دين الإسلام، ومن أجل تلك اللحظات التي يفر فيها العبد إلى ربه تبارك وتعالى، ويعلم أنه وحده مفرج الكرب، وتحصيل الرضا يكون بأن تؤمن أن ما اختاره الله لك، وقدره عليك هو أحسن شيء لك، وأن تعترف بجهلك وتؤمن بعلم ربك واختياره لك، وأن اختياره لك أولى، وأخير وأفضل وأحسن من اختيارك لنفسك، فما يدريك لو لم تفقد هذا الولد ماذا كان سيجري لك؟.

إذا ابتليت فثق بالله وارض به ∴ إن الذي يكشف البلوى هو الله
إذا قضى الله فاستسلم لقدرتهِ ∴ ما لامرئ حيلة فيما قضى الله
اليأس يقطع أحيانًا بصاحبه ∴ لا تيأسنَّ فنعم القادر الله

وقال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]، فيقول العبد: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ تفويض منه لله، وأنه راضي بكل ما نزل به من المصائب.

---

(١) أخرجه الترمذي: (١٠٢١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٧٩٥).

وفي قوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞ ﴾ الآية « نعم من الله عَزَّوَجَلَّ للصابرين المسترجعين، وصلاة الله على عبده: عفوه، ورحمته، وبركته، وتشريفه إياه في الدنيا والآخرة[١].

وجاء عن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله :﴿ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ ﴾ قال : المراد موت الأولاد ، وولد الرجل ثمرة قلبه [٢].

وهنالك أمور من تأملها عند مصابه هانت عليه مصيبته، وخفت في نظره، وقد ذكرها ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه (زاد المعاد: ٤/ ١٨٩ـ ١٩٥)وهي:

١- أن ينظر إلى ما أصيب به فيجدُ ربه قد أبقى عليه مثله أو أفضل منه، وادخر له إن صبر ورضي ما هو أعظم من فوات تلك المصيبة بأضعاف مضاعفة ، وأنه لو شاء لجعلها أعظم مما هي.

٢- أن يطفئ نار مصيبته ببرد التأسي بأهل المصائب، ولينظر يمنة فهل يرى إلا محنة ؟ ثم يعطف يسرة فهل يرى إلا حسرة ؟، وأنه لو فتش العالم لم ير فيهم إلا مبتلى ، إما بفوات محبوب ، أو حصول مكروه ، وأن شرور الدنيا أحلام نوم ، أو كظل زائل ، إن أضحكت قليلًا أبكت كثيرًا ، وإن سرت يومًا ساءت دهرًا ، وإن متعت قليلًا منعت طويلًا ، ولا سرته بيوم سرورًا إلا خبأت له في آخر شرورًا ، قال ابن مسعود : لكل فرحة ترحة ، وما ملئ بيت فرحًا إلا ملئ ترحًا. وقال ابن سيرين - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : ما كان ضحك قط إلا كان من بعده بكاء.

٣- أن يعلم أن الجزع لا يردها -أي : المصيبة- بل يضاعفها وهو في الحقيقة من تزايد المرض.

---

(١) تفسير القرطبي : (١/ ٤٩٥).
(٢) تفسير القرطبي : (١/ ٤٩٣).

٤- أن يعلم أن فوات ثواب الصبر والتسليم،وهو الصلاة، والرحمة، والهداية التي ضمنها الله على الصبر والاسترجاع أعظم من المصيبة في الحقيقة.

٥- أن يعلم أن الجزع يشمت عدوه ، ويسوء صديقه ، ويغضب ربه ، ويسر شيطانه ، ويحبط أجره ، ويضعف نفسه ، وإذا صبر واحتسب ، أرضى ربه ، وسر صديقه ، وساء عدوه، وحمل عن إخوانه، وعزاهم هو قبل أن يعزوه، فهذا هو الثبات والكمال الأعظم، لا لطم الخدود، وشق الجيوب، والدعاء بالويل والثبور ، والسخط على المقدور.

٦- أن يعلم أن ما يعقبه الصبر هو الاحتساب من اللذة والمسرة أضعاف ما كان يحصل له ببقاء ما أصيب به لو بقي عليه - ويكفي من ذلك : (بيت الحمد) الذي يُبنى له في الجنة على حمده لربه واسترجاعه ، فلينظر أي المصيبتين أعظم: مصيبة العاجلة، أو مصيبة فوات بيت الحمد في جنة الخلد ، وفي الترمذي مرفوعًا: (**ويود ناس يوم القيامة أن جلودهم كانت تقرض بالمقاريض في الدنيا، لما يرون من ثواب أهل البلاء**)[1].

وقال بعض السلف : لولا مصائب الدنيا لوردنا القيامة مفاليس.

٧- أن يعلم أن الذي ابتلاه بها أحكم الحاكمين،وأرحم الراحمين وأنه سبحانه لم يرسل إليه البلاء ليهلكه به،ولا ليعذبه به، ولا ليجتاحه به،وإنما افتقده ليمتحن صبره به، ورضاه عنه ، وإيمانه ويسمع تضرعه وابتهاله، وليراه طريحًا ببابه، لائذًا بجانبه، مكسور القلب بين يديه،رافعًا قصص الشكوى إليه.

٨- أن يعلم أنه لولا محن الدنيا ومصائبها لأصاب العبد من أدواء الكبر،

(١) أخرجه الترمذي: (٢٤٠٢) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهو في السلسلة الصحيحة للألباني : (٢٢٠٦).

والعجب، والفرعنة ، وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلًا أو آجلًا ، فمن رحمة أرحم الراحمين أن يفتقده في الأحيان بأنواع من أدوية المصائب تكون حمية له من هذه الأدواء ، وحفظًا لصحة عبوديته واستفراغًا للمواد الفاسدة الرديئة المهلكة منه فسبحان من يرحم ببلائه، ويبتلي بنعمائه.

كما قيل:

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ∴ ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

٩- أن يعلم أن مرارة الدنيا هي بعينها حلاوة الآخرة ، يقبلها الله سبحانه ، وكذلك حلاوة الدنيا بعينها مرارة الآخرة ولأن ينشغل من مرارة منقطعة إلى حلاوة دائمة خيرًا له من عكس ذلك ، فإن خفي عليك ذلك فانظر إلى قول الصادق المصدوق-ﷺ-: **(حفت الجنة بالمكاره ، وخفت النار بالشهوات)** أ. هـ. باختصار.

وإذا أحسن الإنسان تلقي البلاء علم أنه نعمة عليه، ومنحة لا محنة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « مصيبة تقبل بها على الله خير لك من نعمة تُنسيك ذكر الله ». وقال: (ما يكره المرء خيرًا له مما يحب، لأن ما يكرهه يهيجه للدعاء ، وما يحبه يلهيه).

ما ورد في فضل من مات له ولد واحتسبه :

١- عن معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النَّبي -ﷺ- قال : «**والذي نفسي بيده ، إن السقط ليجر أمه بسرره**(١) **إلى الجنة إذا احتسبته** » رواه ابن ماجه (٢).

(١) والسررُ : ما تقطعه القابلة من السرة (النهاية ٣/ ٩٩).
(٢) أخرجه ابن ماجه : (١٦٠٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم :(٧٠٦٤).

٢- قال الإمام النووي (المجموع :٥/ ٢٨٧): « موت الواحد من الأولاد حجاب من النار ، وكذلك السقط» والله أعلم.

٣- عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله -ﷺ-: **(ما من مسلم يموت له ثلاثة لم يبلغوا الحِنْثَ** [١] **، إلا أدخله الله الجنة ، بفضل رحمته إياهم)** [٢].

٤- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله -ﷺ- قال : **(لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد لا تمسه النار إلا تحِلة القسم)** متفق عليه[٣].

(تحلة القسم) قول الله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾ [مريم:٧١] .

(والورود) هو العبور إلى الصراط، وهو جسر منصوب على ظهر جهنم عافانا الله منها [٤].

٥ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله -ﷺ-قال: **(يقول الله تعالى : ما لعبدي المؤمن عندي جزاءُ إذا قبضت صفية من أهل الدنيا ، ثم احتسبه إلا الجنة)** رواه البخاري[٥].

٦- عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله -ﷺ- : (جاء النساء **فعلمهن مما علمه الله ، ثم قال : (ما منكن من امرأة تقدم بين يديها : من ولدها ثلاثة ، إلا كانوا لها حجابًا من النار)** ، فقالت : امرأة : واثنين ؟ ، فقال رسول

(١) الحنث: الإثم والذنب، وبلغ الغلام الحنث،أي بلغ المعصية،والطاعة بالبلوغ(مختار الصحاح:٩٣).
(٢) أخرجه البخاري : (١٢٤٨).
(٣) أخرجه البخاري (١٢٥١).
(٤) رياض الصالحين مع شرح ابن عثيمين : (٢ / ١٢١٢).
(٥) أخرجه البخاري : (٦٤٢٤).

الله-ﷺ-: **(واثنين)** [١].

٧- عن أبي حسان قال : قلت لأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إنه قد مات لي ابنان، فما أنت مُحدثي عن رسول الله-ﷺ-بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: نعم ، قال: **(صغارهم دعاميض**[٢] **الجنة يلتقي أحدهم أبويه فيأخذ بثوبه، أو قال بيده - كما أخذ بصنفة**[٣] **ثوبك هذا ، فلا ينتهي حتى يُدخله الله وأباه الجنة)** [٤].

٨- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُقال: جاءت امرأة إلى النَّبي-ﷺ-بابن لها، فقالت: يا رسول الله، إنه يشتكي، وإني أخاف عليه ، وقد دفنت ثلاثة ، قال: **(لقد احتضرت بحِظار شديد من النار)** رواه مسلم[٥].ومعناه: أي امتنعت بمانع وثيق.

٩- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله -ﷺ-: **(ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله ، حتى يلقى الله وما عليه خطيئة)** [٦].

(١) أخرجه البخاري : (١٢٤٩)، ومسلم : (٢٦٣٣).
(٢) دعاميض الجنة : أي صغار أهلها.
(٣) أي بطرفه.
(٤) أخرجه مسلم : (٢٦٣٥).
(٥) أخرجه مسلم : (٢٦٣٦).
(٦) أخرجه الترمذي : (٢٣٩٩)، وصححه الألباني. انظر حديث رقم :(٥٨١٥)في صحيح الجامع.

من أخبار الصالحين عند وفاة أولادهم

١- محمد -ﷺ-:

قصة ولده إبراهيم : عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : دخلنا مع رسول الله -ﷺ- على أبي سيف القين : وكان ظئرًا[١] لإبراهيم ، فأخذ النَّبي -ﷺ- إبراهيم فقبله وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود نفسه. فجعلت عينا رسول الله تذرفان. فقال له عبدالرحمن بن عوف : وأنت يا رسول الله ؟ فقال: (يا ابن عوف ، إنها رحمة) ثم أتبعها بأخرى. فقال-ﷺ-: **(إن العين تدمع، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزنون)**[٢].

وكل أولاده-ﷺ-ماتوا قبله إلا فاطمة ، ومع ذلك ما عرف عنه-ﷺ-إلا الرضا بأمر ربه ، والتسليم لخالقه ، فهو إمام الصالحين ، وقدوة المؤمنين - عليه الصلاة والتسليم.

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : كنا عند النَّبي -ﷺ- فأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه ، وتُخبره أن صبيًا لها في الموت. فقال رسول الله-ﷺ-: **(ارجع إليها فأخبرها: أن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شي عنده بأجل مسمى ، فلتصبر ولتحتسب)** [٣].

٢- الفضيل بن عياض :

الفضيل بن عياض - رحمه الله - : لما مات ابنه علي ضحك ، وقال : «رأيت أن الله قد قضى، فأحببت أن أرضى بما قضى الله به ».

(١) الظئر: هي المرضعة ولد غيرها ، وزوجها ظئر لذلك الرضيع ولفظه ظئر تقع على الذكر والأنثى.
(٢) أخرجه البخاري : (١٣٠٣) ، ومسلم : (٢٣١٠).
(٣) الحديث تقدم قريبًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : (حاله حال حسن بالنسبة إلى أهل الجزع ، وأما رحمة الميت مع الرضا بالقضاء وحمد الله تعالى ، كحال النَّبي -ﷺ- فهذا أكمل. كما قال تعالى: « ثُمَ كان منّ الذَين آمنوا وَتَواصوا بالصَبرِ وتَوَاصواَ بالمرحمة ») [١] أ.هـ.

٣ـ عروة بن الزبير :

من أفاضل التابعين وأخيارهم ، كان له ولد اسمه محمد من أحسن الناس وجهًا ، دخل على الوليد بن عبد الملك في ثياب جميلة ، فقال الوليد : هكذا تكون فتيان قريش ، ولم يدعوا له بالبركة فقالوا : إنه قد أصابه بالعين ، فخرج محمد بن عروة من المجلس فوقع في إسطبل للدواب فلا زالت تطأه حتى مات[٢].

وورد عنه أنه قال : إنما ابتلاني ليرى صبري أفأُعارض أمره ؟ !.

٤ـ مطرف بن عبد الله :

مطرف بن عبد الله أتاه قوم يعزونه ، في ابن له ، فخرج إليهم أحسن ما كان بشرًا ، ثم قال : «إني لأستحي من الله أن أتضعضع لمصيبة » [٣].

ما يقول من فقد حبيبه وأصيب في ولده :

قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ ﴾

[البقرة:١٥٦].

وقد خص الله هذه الأمة بهذا الاسترجاع فلم يكن معروفًا عند الأمم قبلنا، قال سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : لم تعط هذه الكلمات نبيًا قبل نبينا -ﷺ- ولو عرفها

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١/ (٥٨.
(٢) صفة الصفوة لابن الجوزي :(٢ / ٨٧).
(٣) عدة الصابرين لابن قيم الجوزية : ص (٩٤).

يعقوب لما قال : ﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ (١).

وفي صحيح مسلم عن أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت : سمعت رسول الله -ﷺ- يقول : (**ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي ، وأخلف لي خيرًا منها ، إلا أجره الله في مصيبته ، وأخلف له خيرًا منها**) قالت : فلما توفى أبو سلمة ، قلت كما أمرني رسول الله -ﷺ-، فأخلف الله لي خيرًا منه رسول الله -ﷺ- (٢) وفي رواية : (فلما مات أبو سلمة. قالت : أي المسلمين خيرٌ من أبي سلمة ؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله -ﷺ-، ثم إني قلتها، فأخلف الله لي رسول الله -ﷺ-) .

النهي عن النياحة على الميت:

إن الأجر الذي يكتبه الله للمؤمن عند فقده ولده إنما هو بصبره واحتسابه، وأما من ناح وشق الجيوب، ولطم الخدود ، فهذا مما نهى عنه الشرع والأحاديث في ذلك كثيرة ، فمنها :

١- عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله -ﷺ- قال : (**ليس منا من ضرب الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية**) (٣) .

٢- عن أم عطية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت : (أخذ علينا رسول الله -ﷺ- عند البيعة ألا ننوح) (٤).

٣- عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النَّبي -ﷺ- قال : (**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر في الأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة**) ، وقال : (**والنائحة إذا لم تتب قبل موتها ، تقام يوم القيامة**

(١) تفسير القرطبي : (١/ ٤٩٥).
(٢) رواه مسلم : (٩١٨).
(٣) أخرجه البخاري : (١٢٩٢)، ومسلم : (١٠٣).
(٤) أخرجه البخاري : (١٣٠٦)، ومسلم (٩٣٦).

وعليها سربال من قطران ، ودرع من جرب) [١].

٤- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله -ﷺ-: **(اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب ، والنياحة على الميت)** [٢].

٥- عن أبي بردة قال : (وجع أبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فغُشي ، ورأسه في حجر امرأة من أهله، فأقبلت تصيح برنة ، فلم يستطع أن يرد عليها شيئًا ، فلما أفاق قال : إني بريء ممن بريء منه رسول الله -ﷺ- أن رسول الله -ﷺ-بريء من الصالقة ، والحالقة ، والشاقة). [٣]

« الصالقة » : التي ترفع صوتها بالنياحة والندب.

« والحالقة » :التي تحلق رأسها عند المصيبة.

« والشاقة » : التي تشق ثوبها.

---

(١) أخرجه مسلم : (٩٣٤).
(٢) أخرجه مسلم : (٦٧).
(٣) أخرجه البخاري :(بَاب مما ينهى من الحلق عند المصيبةِ)، ومسلم : (١٤٩).

بيت في ربض ووسط وأعلى الجنة فضل من اللّه ونعمة

عن فضالة بن عبيد يقول سمعت رسول الله-ﷺ-يقول : **(أنا زعيم، والزعيم الحميل لمن آمن بي وأسلم وهاجر ببيت في ربض الجنة، وببيت في وسط الجنة، وأنا زعيم لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله ببيت في ربض الجنة، وببيت في وسط الجنة، وأنا زعيم لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله ببيت في ربض الجنة، وببيت في وسط الجنة، وببيت في أعلى غرف الجنة، فمن فعل ذلك فلم يدع للخير مطلبًا، ولا من الشر مهربًا يموت حيث شاء أن يموت)** (١).

من فضل الله على المسلم الذي جمع هذه الصفات أن يتمتع في فسيح الجنان، في بيوتها ومنازلها ، فتارة في طرفها ، وأخرى في وسطها ، ثم إذا هو في أعاليها. والله لو جُمع نعيم الدنيا منذ خلقها الله إلى قيام الساعة ، فإنه لا يوازي هذا النعيم ، ولا يقرب منه فاللهم اجعلنا من أهل الفردوس الأعلى.

وقد ذكر النَّبي-ﷺ-أربع خلال حتى يظفر المسلم بهذا النعيم، وتلك المنزلة، بل وضمنها له بقوله : (وأنا زعيم) والزعيم الضمين.

وهذه الأربع هي :

١ – الإيمان برسول الله –ﷺ– وتقدم الحديث فيما سبق عن هذه المسألة.

٢ – الإسلام : والإسلام هو دين الله المتين ، وحبله القويم وهو ملة الأنبياء، والمرسلين ، في الأولين والآخرين :

(١) أخرجه النسائي :(٣١٣٣) ، وابن حبان : (٤٦٩٠) ، والحاكم : (٢٣٣١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع : (١٤٦٥).

أ - وهو الدين الذي اختاره الله لخلقه، واصطفاه لعباده، ورضيه لهم:

قال تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [المائدة:٣].

ب- الإسلام الدين الذي لا يقبل الله سواه:

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ (٨٥) ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقال تعالى: ﴿ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ (٨٣) ﴾ [آل عمران: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ (١٥٣) ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ج - دين الإسلام أشتمل على كل ما اشتملت عليه أديان الأنبياء وهو خلاصتها وخاتمتها:

قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ (١٣) ﴾ [الشورى: ١٣].

د - الإسلام دين التزكية والهداية:

قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ (١٦٤) ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

هـ - دين يسر وسماحة :

قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨].

(وما خُيِّرَ رسول الله -ﷺ- بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثمًا) (١)

فلم يطرق العالم دين أكمل، ولا أشمل، ولا أسهل من هذا الدين الحنيف قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [البقرة:١٨٥].

وقال تعالى : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾[التغابن : ١٦] ، وقال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦] .

و- دين الإسلام أحب الأديان إلى الله تعالى :

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله -ﷺ- قال : « **أحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة** » (٢).

الإسلام دين الأنبياء :

قال تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [البقرة:١٣٢].

ودعا به الخليل وابنه إسماعيل لهما ولذريتهما فقالا: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾

[البقرة: ١٢٨].

وقال نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ:﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس:٧٢]،وقال تعالى :﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ [يونس:٨٤].

(١) أخرجه البخاري :((٥٦٦١ ، ومسلم :(٤٢٩٤).
(٢) أخرجه احمد: ((٢١٠٨ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع : (١٦٠).

فالإسلام بمعناه العام يتناول كل شريعة بعث الله بها نبيًا ، ولفظ المسلمين يتناول كل أمة متبعة لنبي من الأنبياء قبل بعثة خاتم النَّبيين نبينا محمد -ﷺ- : فببعثته توحدت الديانة السماوية ، وشملت رسالته كل العالمين الجن والأنس، وامتدت إلى آخر الدنيا. لا تبدل، ولا تنسخ إلى يوم القيامة ، وأوجب الله على جميع الخلق اتباعه وطاعته. قال تعالى : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف:١٥٨] [١].

﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ :

لقد أمر المولى عَزَّوَجَلَّ ووصانا أن نتمسك بهذا الدين وأن نثبت عليه حتى تدركنا المنية ، ويأتينا الموت. فقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عمران:١٠٢].

(١) الخطب المنبرية للعلامة الفوزإن :) ١ / ١٦).

ما معنى الإسلام؟

الإسلام معناه: الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء:١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان:٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الحج:٢٤].

وإذا أطلق الدين فالمراد به الإسلام فالله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ﴾ [آل عمران:١٩].

أركان الإسلام:

عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: **(الإسلام أن تشهد ألَّا إله إلَّا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا)** (١).

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: **(بُني الإسلام على خمس: شهادة ألَّا إله إلَّا الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت)** (٢).

(١) أخرجه مسلم: (٨).
(٢) أخرجه البخاري: (٨)، ومسلم: (١٦).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(شرح مسلم ١٥٢/١) :** « ثم إن هذا الحديث أصل عظيم في معرفة الدين ،وعليه اعتماده ، وقد جمع أركانه. والله أعلم» أ.هـ.

الهجرة :

الهجرة في اللغة : مأخوذة من الهجر : وهو الترك. قال ابن دقيق العيد، -رحمه الله- « إحكام الأحكام :١٧-١٨« : « اسم الهجرة يقع على أمور ، الهجرة الأولى :إلى الحبشة عندما آذى الكفار الصحابة. الهجرة الثانية : من مكة إلى المدينة. الهجرة الثالثة : هجرة القبائل إلى النَّبي -ﷺ-لتتعلم الشرائع، ثم يرجعون إلى المواطن ويعلمون قومهم. الهجرة الرابعة : هجرة من أسلم من أهل مكة إلى النَّبي -ﷺ- ، ثم يرجع إلى مكة.الهجرة الخامسة : هجرة ما نهى الله عنه، ومعنى الحديث[1] يتناول الجميع».

ووقعت الهجرة في الإسلام على وجهين :

الأول : الانتقال من دار الخوف إلى دار الأمن كما في هجرتي الحبشة ، وابتداء الهجرة من مكة إلى المدينة.

الثاني : الهجرة من دار الكفر إلى دار الإيمان ، وذلك بعد أن استقر النَّبي -ﷺ-بالمدينة، وهاجر إليه من أمكنه ذلك من المسلمين ، وكانت الهجرة إذ ذاك تختص بالانتقال إلى المدينة إلى أن فتحت مكة ، فانقطع الاختصاص وبقى عموم الانتقال من دار الكفر لمن قدر عليه باقيًا[2] فالهجرة من بلاد الكفر التي لا يستطيع المسلم إظهار دينه ، واجبة ، كهجرة المسلمين من مكة إلى الحبشة ، أو من مكة إلى المدينة.

(١) يريد حديث :(إنما الأعمال بالنيات).
(٢) إتحاف القارئ بدرر البخاري : (٢ / ١١).

وإذا كان المسلم يستطيع أن يظهر دينه وأن يعلنه، ولا يجد من يمنعه في ذلك، فالهجرة هنا مستحبة [١].

قال الماوردي : « إذا قدر على إظهار الدين في بلد من بلاد الكفر فقد صارت البلد به دار إسلام ، فالإقامة فيها أفضل من الرحلة منها ، لما يرتجي من دخول غيره في الإسلام ».

وقال الحافظ : «من قدر على عبادة الله في أي موضع اتفق لم تجب عليه الهجرة منه ، وإلا وجبت » [٢]. فالحكم يدور مع علته وجودًا أو عدمًا.

هجرة أصحاب النَّبي -ﷺ- من مكة إلى الحبشة :

لما اشتدت أذية كفار قريش للمستضعفين من المؤمنين ، ونال منهم المسلمون الضرب الشديد ، والإهانة البالغة، وثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ، وبرمضاء مكة إذا اشتدت الحر ، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبه ، ومنهم من يعصمه الله تعالى.

فلما رأى رسول الله –ﷺ– ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية ، بمكانة من الله عَزَّوَجَلَّ ثم من عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء – قال لهم : **(لو خرجتم إلى أرض الحبشة ، فإن بها ملكًا لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه)** فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب النَّبي –ﷺ– إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة ، وفرارًا إلى الله بدينهم ، فكانت أول هجرة في الإسلام.

وكان أول من خرج من المسلمين إلى الحبشة عشرة فيهم عثمان بن عفان وامرأته

(١) شرح الأربعين النووية لابن عثيمين : (ص ١٧).
(٢) فتح الباري : (٧/ ٢٢٩).

رقية بنت رسول الله -ﷺ-، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة ، فكانوا بها ، منهم من خرج بأهله معه ، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل معه.

وكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغارًا، أو ولدوا بها ، ثلاثة وثمانين رجلًا [(١)].

الهجرة من مكة إلى المدينة :

لما أذن الله تعالى لنبيه -ﷺ- في الحرب وذلك في قوله تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الحج: ٣٩ - ٤٠].

ثم بايعه من بايعه من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن اتبعه وأوى إليه من المسلمين ، أمر رسول الله -ﷺ- أصحابه من المهاجرين من قومه، ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها ، واللحاق بإخوانهم الأنصار ، فخرجوا جماعات واحدة إثر الأخرى ، وأقام رسول الله -ﷺ- بمكة ينتظر إلى أن يأذن له ربه في الخروج ، والهجرة إلى المدينة ، ولم يتخلف معه بمكة أحد ، من المهاجرين إلا من حُبس وفُتن ، إلا على بن أبي طالب، وأبو بكر الصديق رضي الله عنهما [(٢)] ، ثم كان الإذن لرسول الله -ﷺ- بالهجرة إلى المدينة ، والتي بنى فيها الدولة الإسلامية ، وشع منها النور، في أصقاع الأرض، وإنحاء المعمورة: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الصف : ٨].

(١) انظر البداية والنهاية :(٣/ ٥٥ ٥٧)، وسيرة ابن هشام :(١ / ١٦١ ١٦٨).
(٢) البداية والنهاية :(٣/ ١٣٧ وما بعده)، وتهذيب سيرة ابن هشام :(١٠٩ ١١٠).

هجرة ما نهى الله عنه:

ومن الهجرة، هجر العبدما نهى الله ورسوله عنه - وترك الذنوب والمعاصي، خوفًا من الافتتان في وحل الآثام والإجرام، وهروبًا إلى الله مولاه، مُلبيًا أمره ومجتنبًا نهيه بالقعود في بلد يعجز فيه عن عبادة ربه.

فكل هجرة إنما هي امتثال أمره جل وعلا، واجتناب نهيه؛ فعن عبد الله ابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: (**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**) رواه البخاري[(١)].

وعن فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: (**المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب**) رواه ابن ماجه [(٢)].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ **(فتح الباري ١/٥٤)**: « قوله: (المهاجر) هو بمعنى الهاجر، وإن كان لفظ المفاعل يقتضي وقوع فعل من اثنين، لكنه هو للواحد كالمسافر، ويحتمل أن يكون على بابه لأن من لازم كونه هاجرا وطنه مثلًا: أنه مهجور من وطنه، وهذه الهجرة ضربان: ظاهرة وباطنة، فالباطنة ترك ما تدعوا إليه النفس الأمارة بالسوء والشيطان، والظاهرة الفرار بالدين من الفتن. وكأن المهاجرين خوطبوا بذلك لئلا يتكلوا على مجرد التحول من دارهم حتى يمتثلوا أوامر الشرع ونواهيه، ويحتمل أن يكون ذلك قيل بعد انقطاع الهجرة لما فتحت مكة تطيبًا لقلوب من لم يدرك ذلك، بل حقيقة الهجرة تحصل لمن هجر ما نهى الله عنه » أ.هـ.

وأما الجهاد في سبيل الله فقد تقدم الحديث عنه.

---

(١) أخرجه البخاري: (١٠).

(٢) رواه ابن ماجه: (٣٩٣٤)، و صححه الألباني في صحيح الجامع: (٦٦٥٨).

من أذكار النوم مايكون سببًا لبناء بيت عند الحي القيوم

عن البراء بن عازب - رضي الله عنهما - أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : **(إذا اضطجع الرجل فتوسد يمينه ثم قال : اللهم إليك أسلمت نفسي ، وفوضت أمري إليك، وألجأت إليك ظهري ، ووجهت إليك وجهي ، رهبة منك ، ورغبة إليك ، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، ونبيك الذي أرسلت ، ومات على ذلك بُني له بيت في الجنة ، أو بوئ له بيت في الجنة)** (١).

وأصل الحديث : في الصحيحين عن البراء عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم -قال: **(إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ، ثم قل : اللهم إني أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت. وأجعلهن من آخر كلامك. فإن مت من ليلتك مُت وأنت على الفطرة)**. قال : فرددتهن لأستذكرهن فقلت : آمنت برسولك الذي أرسلت، قال : **(قل آمنت بنبيك الذي أرسلت)** (٢).

قال الإمام النووي رحمه الله **(شرح مسلم: ١٧/ ٣٣) :** « في هذا الحديث : ثلاث سُنن مهمة مستحبة، ليست بواجبة إحداها : الوضوء عند إرادة النوم فإن كان متوضئًا كفاه ذلك الوضوء ، لأن المقصود النوم على طهور ، مخافة أن يموت في ليله ، وليكون أصدق لرؤياه ، وأبعد من تلعب الشيطان به في منامه ، وترويعه إياه ، الثانية : النوم على الشق الأيمن لأن النَّبي -صلى الله عليه وسلم- كان يحب التيامن، ولأنه أسرع إلى الانتباه، والثالثة : ذكر الله تعالى ليكون خاتمة عمله » أ.هـ.

(١) رواه احمد : (٤ / ٢٩٦).
(٢) أخرجه البخاري : (٢٤٧)، ومسلم : (٢٧١٠).

قلت : النوم نعمة من نعم الله التي امتن بها على عباده ، قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الروم :٢٣].

والنوم من رحمة الله تعالى بعباده حيث جعل لهم وقتًا يستريحون فيه بعد تعب النهار، وكد العمل قال تعالى : ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [القصص:٧٣].

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا (١) وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الفرقان:٤٧].

ولما كان النوم كذلك ، فإن من نعمه تبارك وتعالى كذلك أن شرع لنا آدابًا وأحكامًا تتعلق به ، ليكون المؤمن على صلة بربه ، عامرة أوقاته كلها بذكر الله تعالى.

وإن الدعاء الذي رواه لنا البراء فيما تقدم مع ما فيه من الفضل والمثوبة ، إلا أنه كذلك دعاء عظيم ، ينبغي للمسلم أن يتأمل في دلالاته العظيمة ومعانيه الجليلة ، وينبغي عليه أن يحافظ عليه عند نومه ، ليظفر بعظيم موعود الله لمن حافظ عليه واعتنى به.

قال شيخنا الفاضل عبدالرزاق بن الشيخ العلامة عبد المحسن العباد -حفظهما الله- (فقه الأدعية والأذكار:٣/٦٥-٦٨) :

(فهذا الحديثُ العظيمُ يشتمل على بعض الآداب التي يَحسُنُ بالمسلم أن يُحافظَ عليها عند نومه، وقد أرشدَ-ﷺ-أَوَّلَ ما أرشد في هذا الحديث مَن أَوَى إلى فراشه أن يتوضأ وضوءَه للصلاة، وذلك ليكون عند النوم على أكمل أحوالِه، وهي الطهارة، وليكون ذكرُه لله عَزَّوَجَلَّ عند نومه على حال

(١) أي : راحة لأبدانكم بانقطاعكم عن الأشغال. تفسير القرطبي :(٧/ ٣٤٢).

الطهارة،وهي الحالُ الأكملُ للمسلم في ذكره لله عَزَّوَجَلَّ ،ثم وجَّه-ﷺ-إلى أن ينامَ المسلمُ على شِقِّه الأيمن، وهي أكملُ أحوال المسلم في نومه، ثمَّ أرشده -ﷺ-وهو على هذه الحال الكاملة أن يبدأ في مناجاة ربِّه عَزَّوَجَلَّ بذلك الدعاء العظيم الذي أرشد إليه صلوات الله وسلامه عليه.

وإن مِمَّا ينبغي أن يعتَنِيَ به المسلمُ في مثلِ هذا المقام أن يتأمَّلَ معاني الأدعية والأذكار المأثورة؛ ليكون ذلك أكملَ له في مناَجاته لربِّه عَزَّوَجَلَّ ودعائه إياه.

وعندما نتأمَّل هذا الدعاء العظيم الوارد في هذا الحديث نجدُ أنه اشتمل من المعاني الجليلة، والمقاصد العظيمة على جانب عظيم، يحسن بالمسلم أن يكون مستحضرًا لها عند نومه.

وقوله: (اللَّهمَّ إني أسلمت نفسي إليك) أي: أنني - يا الله - قد رضيتُ تَمام الرِّضا أن تكون نفسي تحت مشيئتك، تَتَصرَّف فيها بما شئتَ وتقضي فيها بما أردتَ من إمساكها أو إرسالها، فأنت الذي بيده مقاليد السموات والأرض، ونواصي العباد جميعهم معقودةٌ بقضائك وقدرك تقضي فيهم بما أردتَ، وتحكم فيهم بما تشاء، لا رادَّ لقضائك، ولا معقِّب لحكمك.

وقوله: (وفوَّضتُ أمري إليك) أي: جعلتُ شأني كلَّه إليك، وفي هذا الاعتماد على الله عَزَّوَجَلَّ والتوكل التام عليه، إذ لا حول للعبد ولا قوَّة إلاَّ به سبحانه وتعالى.

وقوله: (وألجأتُ ظهري إليك) أي: أسندتُه إلى حفظك ورعايتك لما علمتُ أنه لا سند يُتقوى به سواك، ولا ينفع أحدًا إلاَّ حماك، وفي هذا إشارةٌ إلى افتقار العبد إلى الله جَلَّوَعَلَا في شأنه كلِّه في نومه، ويقظته، وحركته ، وسكونه، وسائر أحواله.

وقوله: (رغبةً ورهبة إليك) أي: أنني أقول ما سبق كلَّه وأنا راغبٌ راهب، أي: راغبٌ تمام الرغبة في فضلك الواسع وإنعامك العظيم، وراهبٌ منك ومن كلِّ أمر يوقع في سخطك، وهذا هو شأن الأنبياء والصالحين من عباد الله يجمعون في دعائهم بين الرَّغَب والرَّهَب، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾

[الأنبياء: ٩٠].

ثم قال-ﷺ-في هذا الدعاء: (لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك) أي: لا ملاذ، ولا مهرَبَ، ولا مَخْلَصَ من عقوبتك إلا بالفزع إليك، والاعتماد عليك، كما قال تعالى: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الذاريات: ٥٠]، وكما قال تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾﴾ [القيامة: ١١ - ١٢].

ثم قال: (آمنتُ بكتابك الذي أنزلت وبنبيِّك الذي أرسلت) أي: آمنتُ بكتابك العظيم القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تَنْزيلٌ من حكيم حميد، آمنت وأقررتُ أنه وحيك، وتَنْزيلك على عبدك ورسولك نبيِّنا محمد-ﷺ-، وأنه مشتملٌ على الحق، والهدى، والنور، وآمنت كذلك بنبيِّك الذي أرسلتَ وهو محمد-ﷺ-عبد الله ورسوله وخيرته من خلقه، المبعوث رحمةً للعالمين، آمنت به وبكلِّ ما جاء به، فهو-ﷺ-لا ينطق عن الهوى إن هو إلاَّ وحيٌ يوحى، فكلُّ ما جاء به فهو صدقٌ وحقٌّ.

وقوله: (الذي أرسلت) أي: إلى كافة الخلق بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فبلَّغ الرسالةَ، وأدَّى الأمانة، ونصح الأمَّة، وجاهد في الله حقَّ جهاده حتى أتاه اليقين.

ثم قال-ﷺ-مبيِّنًا فضيلة هذا الدعاء وعظم الخير والفضل المترتب عليه

(فإن مُتَّ مُتَّ على الفطرة) أي: على الإسلام، فالإسلام هو دين الفطرة، كما قال الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴾ [الروم: ٣٠] ، وقد جاء في بعض روايات هذا الحديث أنه قال : (وإن أصبحت أصبتَ خيرًا) أي: إن لم تمُت من ليلتك تلك أصبت في الصباح خيرًا، ثوابًا لك على اهتمامك بهذا الأمر.

وقد أرشد صلوات الله وسلامه عليه إلى أن يجعل المسلمُ هذا الدعاءَ في آخر الدعوات والأذكار التي يقولها المسلم عند نومه، لتكون هذه الكلمات آخر كلام المسلم عند نومه، ولهذا قال: (واجعلهنَّ آخرَ ما تقول).

وفي قول النَّبيِّ -ﷺ- للبراء لَمَّا ردَّد الدعاءَ أمامه من أجل استذكاره: (لا، وبنبيِّك الذي أَرسلت) دليلٌ على أهميَّة التقيُّد بهذه الأذكار حسب ألفاظها الواردة؛ لكمالها في مبناها ومعناها.

فهذا دعاءٌ عظيم ينبغي على المسلم أن يحافظَ عليه عند نومه، ويتأمَّلَ في دلالاته العظيمةِ ومعانيه الجليلة؛ ليظفر بعظيم موعود الله لِمَن حافظ عليه واعتنى به، واللهَ الكريم نسأل أن يوفِّقنا وإياكم للمحافظة عليه والعناية به، وأن يوفِّقنا لكلِّ خير يحبه ويرضاه في الدنيا والآخرة).أ. هـ.

أذكار أخرى للنوم :

لقد كان -ﷺ- يواظب على عدد من الأذكار عند نومه، وعند استيقاظه -ﷺ- ومن ذلك:

١- عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (**كان النَّبي -ﷺ- إذا أراد أن ينام قال: باسمك اللهم أموت**[١] **وأحيا ، وإذا استيقظ من منامه قال : الحمد لله**

(١) سمي النوم موتًا ، وهذا مما يذكر الإنسان بالموت الأكبر الذي هو نهاية كل إنسان ومئال كل حي إلا الحي الذي لا يموت.

الذي أحيانًا بعدما أماتنا، وإليه النشور) (١).

٢- عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال : كان رسول الله -ﷺ- يأمرنا إذا أخذنا مضجعنا أن نقول :**(اللهم رب السموات ورب الأرض ، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء ، فالق الحب والنوى ، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان ، أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شي ، اقض عنا الدين ، وأغننا من الفقر)** (٢).

٣- عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله -ﷺ- كان إذا أوى إلى فراشه قال : **(الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا ، وكفانا وآوانا ، فكم ممن لا كافي له ولا مُؤوى)** (٣).

٤- عن علي بن أبي طالب - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن فاطمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أتت النَّبي -ﷺ- تسأله خادمًا ، فقال : **(ألا أخبرك ما هو خير لك منه : تسبحين الله عند منامك ثلاثًا وثلاثين ، وتحمدين الله ثلاثًا وثلاثين، وتكبرين الله أربعًا وثلاثين)** قال عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : (فما تركتُها بعدُ) قيل : ولا ليلة صفين ؟ قال:(ولا ليلة صفين) (٤)

٥- عن البراء بن عازب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال:كان النَّبي -ﷺ- إذا أراد أن ينام وضع

---

(١) أخرج البخاري : (٦٣٢٤).

(٢) أخرجه مسلم : (٢٧١٣).

(٣) أخرجه مسلم : (٢٧١٥) وفي هذا الحديث تذكير للمسلم بنعمة ربه عليه، واصطفائه له بنعمة المطعم، والمشرب، والكفاية، والإيواء ، في حين يفتقدها غيرهم ويتمناها ، بل منهم من يدركه حتفه في المجاعات المهلكة، والقحط المفجع ، والبرد القارس.

(٤) أخرجه البخاري : (٥٣٦٢)، ومسلم :(٢٧٢٧).استدل أهل العلم بهذا الحديث على أن الذكر يعطي الذاكرة القوية في بدنه وصحته ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :(بلغنا أنه من حافظ على هؤلاء الكلمات لم يأخذه إعياء فيما يعانيه من شغل وغيره)، الوابل الصيب(ص: ٢٠٦). قلت : والله عزوجل يقول عن هود :﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ ﴾ [هود:٥٢].

يده تحت خده الأيمن ويقول: «**اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك**»(١).

٦- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (أنه -صلى الله عليه وسلم- أمر رجلًا إن أخذ مضجعه قال: (**اللهم خلقت نفسي، وأنت توفاها، لك مماتها ومحياها، إن أحييتها فاحفظها، وإن أمتها فاغفر لها، اللهم إني أسألك العافية**)، فقال له الرجل: أسمعت هذا من عمر؟ أسمعت هذا من عمر؟ فقال: من خيرٍ من عمر، من رسول الله صلى الله عليه وسلم).(٢)

٧- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النَّبي -صلى الله عليه وسلم-: (**إذا أوى أحدُكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره، فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم يقول: باسمك ربي وضعت جنبي وبك ارفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فا حفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**)(٣).

ومن أذكار النوم التي كان يقرأها -صلى الله عليه وسلم-:

١- عن عائشة رضي الله عنها (أن النَّبي -صلى الله عليه وسلم- كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، ويبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات)(٤).

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه في قصته مع الشيطان حين حراسته لزكاة رمضان: (**إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي**: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ **حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح**)، فقال النَّبي -صلى الله عليه وسلم- لأبي هريرة: (**أما إنه قد صدقك وهو كذوب،**

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد: (١٢١٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (٢٧٥٤).
(٢) أخرجه مسلم: (٢٧١٢).
(٣) أخرجه البخاري: (٦٣٢٠)، ومسلم: (٢٧١٤).
(٤) أخرجه البخاري: (٥٠١٧)، ومسلم: (٢١٩٢).

تعلم من تخاطب مذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟) قال : لا ، قال : (ذاك الشيطان)[١] .

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله -ﷺ-: **(الآيتان من آخر سورة البقرة ، من قرأهما في ليلة كفتاه)** [٢].ومعنى « كفتاه » : أي كفتاه من الآفات في ليلته.

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : كان النَّبي -ﷺ-لا ينام حتى يقرأ بـ « تنزيل السجدة « ، و« تبارك» [٣].

عن فروة بن نوفل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أتى النَّبي -ﷺ-فقال : يا رسول الله علمني شيئًا أقوله إذا أويت إلى فراشي قال : (اقرأ :﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾فإنها براءة من الشرك) [٤].

آداب النوم:

إن للنوم آدابًا وأحكامًا فيها مصلحة دينية ، ودنيوية ، فهي إرشادات نبوية، وتوجيهات محمدية ، منه-ﷺ- ملؤها الشفقة، والرحمة ومن ذلك :

١- الوضوء :

وورد هذا الأدب النبوي في حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبي -ﷺ-قال: **(إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة)** [٥].

قال ابن حجر (فتح الباري: ٣٥٨/١) : « ظاهره استحباب تجديد الوضوء لكل من أراد النوم ولو كان على طهارة ، ويحتمل أن يكون مخصوصًا بمن كان محدثًا » أ.هـ.

---

(١)أخرجه البخاري : (٢٣١١).
(٢)أخرجه البخاري : (٤٠٠٨)، ومسلم : (٨٠٨)،
(٣)رواه الترمذي : (٣٤٠٤)، وانظر صحيح الجامع : (٤٨٧٣)
(٤)رواه الترمذي : (٣٤٠٣)، وصححه الألباني انظر حديث رقم :(٢٩٢) في صحيح الجامع.
(٥)سبق تخريجه.

وقد ذكر النووي (شرح مسلم: ١٧/ ٣٣) فوائد النوم على وضوء. فقال: « مخافة أن يموت في ليله، وليكون أصدق لرؤياه، وأبعد من تلعب الشيطان به في منامه، وترويعه إياه » أ.هـ.

٢-الاضطجاع على الشق الأيمن:

وورد ذلك في حديث البراء المتقدم: (ثم اضطجع على شقك الأيمن) متفق عليه.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(شرح مسلم ١٧/٣٣)**: « لأن النَّبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان يحب التيامن، ولأنه أسرع إلى الانتباه » أ.هـ.

وقال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إكمال المعلم شرح صحيح مسلم: ٨/١٠١)**: « وأيضًا فإن في نومه على شقه الأيمن حكمة لسرعة انتباهه، ولئلا يستغرقه النوم استغراقًا كليًا، وذلك أن النائم إذا نام كذلك كان ميله - وهو في جهة اليسار - قلقًا معلقًا، فكان الانتباه إليه أسرع، والاستغراق منه أبعد. وإذا نام على شقه الأيسر كان مستقرًا في جنبه فيستغرقه النوم كثيرًا، ولا ينتهي منه إلا بعد جهد » أ.هـ.

٣- نفض الفراش قبل النوم:

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال النَّبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **(إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره، فإنه لا يدري ما خلفه عليه)** [١].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(شرح مسلم ١٧/٢٤)**: « داخلة الإزار طرفه، ومعناه: أنه يستحب أن ينفض فراشه قبل أن يدخل فيه، لئلا يكون فيه حية، أو عقرب أو غيرهما من المؤذيات، وأن ينفض ويده مستورة بطرف إزاره، لئلا يحصل في يده مكروه إن كان هناك) أ.هـ.

---

(١) سبق تخريجه.

٤-النهي عن النوم على البطن :

عن يعيش بن طِخفة الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال أبي : « بينما أنا مضطجع في المسجد على بطني إذا رجل يُحركني برجله فقال : (**إن هذه ضجعة يكرهها الله**) قال : فنظرت فإذا هو رسول الله-ﷺ-». (١)

قال ابن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ **:** يكره للرجل أن يضطجع على بطنه.

قال العلامة أبو الطيب آبادي (عون المعبود : ٣/ ٣١١) : « وفي الحديث أن النوم على البطن لا يجوز، وأنه ضجعة الشيطان « أ.هـ.

وقد جاء في حديث أبي ذر التصريح بأنها ضجعة أهل النار فعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : مر بي النَّبي-ﷺ- وأنا مضطجع على بطني فركضني برجله : (**يا جنيدب إنما هذه ضجعة أهل النار**) رواه ابن ماجه . (٢)

ويستثني من هذا النهي من كان له عذر كمرض وغيره ، قال العلامة العثيمين-رحمه الله- في (شرح الرياض :٢/ ١١٢٠) : « لكن إذا كان في الإنسان وجع في بطنه ، وأراد أن ينام على هذه الكيفية لأنها أريح له ، فإن هذا لا بأس به ، لأن هذه حاجة » أ.هـ.

٥-النهي عن النوم على سطح ليس عليه حجار:

عن علي بن شيبان قال : قال رسول الله-ﷺ-: (**من بات على ظهر بيت ليس عليه حجار - وفي راوية أخرى حجاب - فقد برئت منه الذمة**) (٣).

وفي هذا الحديث النهي الصريح عن النوم في سطوح المنازل ، وسقوف الأبنية التي ليس فيها ستر من حجارة أو غيرها يمنع الإنسان من السقوط ،

(١) أخرجه أبو داود : (٥٠٤٠)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب : (٣٠٨٠).
(٢) أخرجه ابن ماجه : (٣٧٢٤)، وصححه الألباني في المشكاة : (٤٧١٨ - ٤٧١٩ و ٤٧٣١).
(٣) أخرجه أبو داود : (٥٠٤١) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع : (٦١١٣).

وكثير من الناس يقع في هذه المخالفة وخصوصًا في أيام الحر.

وكم قد سمعنا عن أشخاص يمشون في نومهم ، وآخرين يقومون من النوم بغفلة لا يدري ما أمامه. فحفاظًا على أروح الناس ، وحمايةً لدمائهم كان هذا النهي منه-ﷺ-، وقوله-ﷺ-: **(قد برئت منه الذمة)** يريد أنه إذا مات فلا يؤاخذ بدمه ، وقيل: إن لكل من الناس عهدًا من الله تعالى بالحفظ والكلاءة ، فإذا ألقى بيده إلى التهلكة انقطع عنه[1].

٦-غسل اليدين من الدسم قبل النوم:

عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله-ﷺ-قال : **(من نام وبيده غمر قبل أن يغسله ، فأصابه شيء ، فلا يلومن إلا نفسه)** [2].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبي-ﷺ-قال : **(من بات وبيده غمر، فأصابه شيء ، فلا يلومن إلا نفسه)** [3].

والغمر : هو الدسم الذي يبقى من الأكل فلعله يصيبه شي من إيذاء الهوام والحشرات ، حين شمها لرائحة الطعام الذي في يده فتؤذيه ، فلذلك نهى المصطفى-ﷺ-المسلم أن يبيت متسخ اليد، وأمره بغسلها.

فالحمد لله الذي هدانا وجعلنا من أهل هذا الدين الحنيف، والملة السمحاء الرحيمة.

---

(١) عون المعبود : (١٣ / ٣١٢).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد :(١٢١٩)، والطبراني في الأوسط : (٥٠٠)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد : (٩٢٩).

(٣) رواه أبو داود : (٣٨٥٢)، وابن ماجه :(٣٢٩٧)، والترمذي :(١٨٦٠)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب : (٢١٦٦).

قارئ القرآن الكريم والصعود في جنات النعيم

عن عبد الله بن بريده – عن أبيه قال : كُنتُ جالسًا عند النَّبي –ﷺ– فسمعته يقول : **(تعلموا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرةً ، ولا يستطيعها البطلة)** ثم سكت ساعة ثم قال: **(تعلموا البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان ، وإنهما تُظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أو غيابتان ، أو فرقان من طير صواف ، وإن القرآن يأتي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب ، فيقول له هل تعرفني ؟ فيقول : ما أعرفك ، فيقول : أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك بالهواجر ، واسهرت ليلك ، وإن كل تاجر من وراء تجارته ، وإنك اليوم من وراء كل تجارة ، فيُعطى الملك بيمينه ، والخلد بشماله ، ويضع على رأسه تاج الوقار ، ويُكسى والداه حُلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا ، فيقولان : بم كسينا هذا؟ فيقال لهما : بأخذ ولدكم القرآن ، ثم يقال : اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها ، فهو في صعود، مادام يقرأ هذا كان، أو ترتيلًا)** . (١)

في هذا الحديث فضائل عديدة لقراءة القرآن ، فمنها ما هو في فضائله إجمالًا، ومنها ما يتعلق بسورة البقرة وآل عمران فقد جعل الله صورة البقرة حصنًا حصينًا ضد البطله : وهم السحرة ، فأخذها بركة ، وتركها حسرة ، ثم انضم إليها بالفضل سورة آل عمران ، فهما الزهراوان(٢) والغمامتان اللتان يستظل العبد بهما يوم القيامة.

وينتقل النَّبي –ﷺ– ليذكرنا الحوار الشيق بين قارئ القرآن ، والقرآن

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٨)، وابن أبي شيبة : (٢٩٤٣٩) ، وقال الحافظ : (هذا إسناد حسن) المطالب العالية ، وقال البغوي في شرح السُنَّة (٣ / ١٧): هذا حديث حسنٌ غريب ، وقال ابن كثير : التفسير (١/ ٣٣) :حسن على شرط مسلم. وانظر السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني برقم (٢٨٢٩).
(٢) الزهراوان : المنيرتان يقال لك : منير زاهر ، والزهرة البياض النير.

الذي يتمثل لصاحبه بصورة رجل شاحب، وأن الجائزة الواحدة مما يُعطاه صاحب القرآن خير من الدنيا وما فيها ، فكيف إذا اجتمعت ، يعطى الملك بيمينه ، والخلد بشماله ، ويضع على رأسه تاج الوقار ، ومع هذا لا يُنسى والداه اللذين ربياه وعلماه هذا الخير، فيكسى والداه حُلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا ويعود بنا رسول الله -ﷺ- إلى قارئ القرآن وهو يبشر بذلك الخطاب الجميل، والبشارات العظيمة : **(اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها)**.

فاللهم اجعلنا من أهل القرآن ، وبلغنا منازل أهله يا منان.

فضل تلاوة القرآن :

لقد ورد في سُنَّة النَّبي -ﷺ- كثير من الأحاديث التي تبين علو منزلة صاحب القرآن وقارئه، اذكر في هذا الموضوع بعضًا منها ، لعل الهمم أن تشحذ ، وساعد الجد أن يُشمر :

١- عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله -ﷺ- قال : **(إن لله تعالى أهلين من الناس)** قالوا : من هم يا رسول الله ؟ قال : **(أهل القرآن ، هم أهل الله وخاصته)** (١).

٢- عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله -ﷺ- قال : **(أوصيك بتقوى الله تعالى ، فإنه رأس كل شي ، وعليك بالجهاد ، فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله تعالى ، وتلاوة القرآن ، فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض)**(٢).

٣- عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله -ﷺ- قال : **(خيركم من تعلم القرآن وعلمه)** (٣)

(١) أخرجه أحمد : (١٢٠٣٧)، وابن ماجه :(٢١٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (١٤٣٢).

(٢) أخرجه أحمد : (١١٥٥١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع : (٢١٦٥).

(٣) أخرجه البخاري : (٥٠٢٧).

٤- عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران) (١).

٥- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النَّبي -صلى الله عليه وسلم- قال : (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع بها آخرين) (٢).

٦- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : (من سره أن يحب الله ورسوله فليقرأ في المصحف) (٣).

٧- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به أناء الليل وأناء النهار. ورجل آتاه الله مالًا فهو ينفقه أناء الليل وأناء النهار). (٤)

٨- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول آلم حرف ، ولكن ألف حرف، ولام حرف ، وميم حرف) (٥).

---

(١) أخرجه البخاري : (٤٩٣٧)، ومسلم : (٧٩٨). والسفرة : هم الملائكة سمو سفرة لا نهم ينزلون بوحي الله ، وما يقع به الصلاح بين الناس ، كالسفير الذي يُصلح بين القوم.
(٢) أخرجه مسلم : (٨١٧).
(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية : (١٠٤٠٣)، والبيهقي في الشعب :(١٤٩٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع : (٢٣٤٢).
(٤) أخرجه البخاري : (٥٠٢٥)، ومسلم :(٨١٥).
(٥) أخرجه الترمذي : (٢٩١٢)، وصححه الألباني : (٣٣٢٧) من الصحيحة.

أحوال المسلمين مع القرآن

لاشك أن هذا الكتاب هو حبل الله الممدود من ربنا إلينا ، من تمسك به هُدي ومن اعتصم به فاز.

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال : **(ويجيء القرآن يوم القيامة فيقول: يا رب حلّه ، فيلبس تاج الكرامة ، ثم يقول : يا رب زده ، فيلبس حلة الكرامة ، ثم يقول: يا رب ا رض عنه فيرضى عنه ، فيقول : اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة)** رواه الترمذي(١).

فهذه المنحة الربانية ، لمن قرأ القرآن وتمسك بهدي الرحمن ، والمتأمل في عصرنا هذا يرى بُعد كثير من المسلمين عن هدي القرآن ، وتعاليمه الربانية والله عزوجل يقول : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٩].

فالقرآن يهدي للتي هي أقوم في السياسة ، والاقتصاد ، والقضايا الاجتماعية، والأخلاقية ، يهدي للتي هي أقوم في جميع نواحي الحياة ، فما من أمة تتمسك به إلا فازت وظفرت، وما من أمة تنحدر عن تعاليمه إلا ضلت وتخبطت في حياتها ، وذاقت كل ويل.

وإليك أخي الكريم بعض الأمور المخالفة التي أساء فيها المسلمون في تعاملهم مع القرآن ، وخالفوا القرآن من حيث يظن البعض أنهم يحسنون صنعًا، وهم في الحقيقة يسيئون للقرآن نسأل الله العافية لنا ولهم :

(١) أخرجه الترمذي : (٢٩١٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع : (٧٨٨٦).

١-البعد عن قراءته ، وهجر تلاوته :

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾ ﴾

[الفرقان:٣٠].

ومن أنواع هجر القرآن. هجر تلاوته ، فبعض المسلمين لا يعرف القرآن، ولا ينظر في المصحف ، إلا في أحوال نادرة وأزمنة متأخرة ، فمنهم من يمر عليه الشهر ، لا يقرأ آية واحدة ، ومنهم من يمر عليه أكثر من ذلك ، حتى أن بعضهم لا يعرف القرآن إلا حين يجيء رمضان، فإذا جاء رمضان نفض الغبار الذي كان على هذا المصحف المهجور طوال هذه الأيام والشهور ، ثم يهذه هذّ الشعر ، لا يتدبر في آياته ، أو يعيش مع عبره وعظاته.

ومن المسلمين وللأسف الشديد من لا يعرف من القرآن إلا غلافه، أو يسمع أن هناك قرآنًا ، لكنه لم يطالعه يومًا من الدهر ، رغم أنه يقرأ الصحف، والمجلات، ويطالع في القصص، والروايات من أخبار الشرق والغرب ، والعجم والعرب. ولكن بينه وبين القرآن حجابًا مستورًا فا للهم رحماك.

٢-اتخاذ القرآن للتأكل، والترزق به :

عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال : **(اقرءوا القرآن، وسلوا الله به ، قبل أن يأتي قوم يقرءون القرآن فيسألون به الناس)** رواه احمد(١) .

وفي راوية للبيهقي في شعب الإيمان عن خيثمة بن أبي خيثمة البصري ، قال: كان رجل يطوف ، ويقرأ سورة يوسف ، فيجتمع الناس عليه ، فإذا فرغ سأل ، فقال الحسن : كنت مع عمران بن حصين فمر به السائل ، فقام فاستمع لقراءته فلما فرغ سأل ، فقال عمران : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اذهب بنا فإني

(١) أخرجه احمد : (١٩٥٣٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم :(١١٦٩)..

سمعت رسول الله -ﷺ- يقول : وذكر الحديث [(١)].

وما ذكر في هذا الخبر هو عين ما نعيشه في واقعنا ممن نراهم في الشوارع والأسواق ، يقرأ أحدهم القرآن بلسانه، وفي نفس الوقت تراه فاتحا يده طالبًا المال من الناس مقابل تلاوته ، وبعضهم لا يحسن قراءة القرآن فتسمعه يُكسر في الآيات الكريمات فإذ هو يرفع المنصوب ، وينصب المرفوع وهلم جر.

وصنف آخر ممن يقرأ القرآن على الأموات ، عُرف بذلك واشتهر به مقابل حفنة من المال ، يأتيه به من يريده أن يقرأ على ميته ، وعلى حسب المال تكون قراءته وتلاوته للقرآن.

وبعيدًا عن مسألة وصول ثواب القرآن أو عدمه، فإن هذا الرجل قد فقد شرطًا عظيمًا، وركنًا ركينًا ينبغي أن يتحقق في هذه العبادة وغيرها،وهو الإخلاص لله تعالى ، فأصبح لا يقرأ إلا من أجل المال ، فإن أعطي المال قرأ، وإن لم يعط المال امتنع، فقراءته من أجل المال، وامتناعه من أجل المال نسأل الله العافية.

واعلم أن المسألة مذمومة من غير ضرورة شرعية، أو حاجة ملحة ، فإذا كان السؤال بالقرآن الكريم كان أشد تحريمًا، فليس من أجل هذا أنزل القرآن.

٣-النهي عن قراءة القرآن عند المقابر :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله -ﷺ- قال : (**لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة**) [(٢)].

نهى النَّبي -ﷺ- المسلم عن تخلية بيته من الذكر وقراءة القرآن ، فتكون كالمقابر التي ليست محلًا لقراءة القرآن ، ولا مكانًا لذلك. فلهذا حض على

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان : (٢٥١٧).
(٢) أخرجه مسلم :(٧٨٠).

قراءة القرآن في البيوت ، ونهى عن جعلها كالمقابر التي لا يقرأ فيها : وقد جاء في الحديث الآخر في مسلم والبخاري أيضًا قوله-ﷺ- : « **صلوا في بيوتكم ، ولا تتخذوها قبورًا** »(١). فهذا الحديث والذي قبله يدلان دلالة واضحة على أن المقابر ليست محلًا للعبادة من صلاة، أو قراءة القرآن سواء كانت « يس » ، أو « الفاتحة » أو غيرها من آيات القرآن الكريم.

وقد ذهب جمهور السلف كأبي حنيفة ومالك وغيرهم إلى كراهة القراءة عند القبور وهو قول الإمام أحمد كما في (مسائل أبي داود) قال أبو داود : «سمعت أحمد سُئل عن القراءة في المقابر ؟ فقال : لا » (٢) أ.هـ.

فائدة : قال في (تحفة الأحوذي : ٨/ ١٤٦) : « وخص سورة البقرة بذلك لطولها ، وكثرة أسماء الله تعالى ، والأحكام فيها » أ.هــ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(اقتضاء الصراط المستقيم : ٣٨٠) :** « ولا يُحفظ عن الشافعي نفسه في هذه المسألة كلام لأن ذلك كان عنده بدعة ، وقال مالك : ما علمت أحدًا يفعل ذلك ، فعلم أن الصحابة والتابعين ما كانوا يعملونه » أ.هـ.

٤- قراءة القرآن على الأموات :

يقول الله عزوجل في كتابه الكريم : ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [يس:٧٠].

فهذه الحكمة التي من أجلها أنزل الله تعالى القرآن الكريم نذارةً وتذكيرًا للأحياء ، فلم يكن قط للقراءة على الأموات ، ولم يثبت بذلك نص في كتاب

(١) أخرجه البخاري (: ١١١٤)، ومسلم : (١٢٩٦).
(٢) انظر أحكام الجنائز للعلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ص:١٩٢ ١٩٣ المسألة: ١٢٢.

الله أو سُنة رسوله-ﷺ-يدل على إيصال ثواب القرآن للميت ، بل الأمر عكس ذلك تمامًا في الكتاب والسُنَّة.

قال الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النجم:٣٩].

قال العلامة ابن كثير (التفسير : ٢٧٦/٤) : « أي كما لا يحمل عليه وزر غيره كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه ، ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي -رحمه الله-ومن اتبعه أن القرآن لا يصل إهداء ثوابه إلى الموتى لأنه ليس من عملهم ، ولا كسبهم ، ولهذا لم يندب إليه رسول الله-ﷺ-أمته ولا حثهم عليه ، ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء ، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ،ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، وباب القربان يقتصر فيه على النصوص، ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء ، فأما الدعاء والصدقة فذاك مجمعٌ على وصولها ، ومنصوص من الشارع عليهما » أ.هـ.

ولا مزيد على كلام هذا الإمام ولا ينبئُك مثل خبير فقد أجمل وأحسن ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ.

٥ - النهي عن قراءة القرآن في السجود والركوع:

عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : قال رسول الله-ﷺ-: **(ألا إني قد نهيت أن أقرأ القرآن راكعًا أو ساجدًا ، فأما الركوع فعظموا فيه الرب ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء ، فقمن أن يستجاب لكم)** (١).

٦ـ إذا نعس وهو يقرأ القرآن :

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله-ﷺ-قال:**(إذا قام أحدكم من الليل**

(١) أخرجه مسلم : (٤٧٩) ومعنى قمن : أي حقيق وجدير.

فاستعجم[١] القرآن على لسانه ، فلم يدر ما يقول فليضجع)[٢].

قال النووي (شرح مسلم: ٦١/٦) : « وفيه الحث على الإقبال على الصلاة بخشوع، وفراغ قلب ونشاط. وفيه أمر الناعس بالنوم أو نحوه مما يذهب عنه النعاس ، وهذا عام في صلاة الفرض والنفل في الليل والنهار » أ.هـ.

وقد جاء في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا التصريح بالعلة التي من أجلها أمر بعدم مواصلة الصلاة من نعس فيها فقالت : قال رسول الله –ﷺ–: **(إذا نعس أحدكم في الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه النوم ، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه)**[٣]. وكل هذا خوفًا من الخلط والخبط في القرآن وحتى لا تلتبس عليه الآيات.

٧ـ عدم استعمال القرآن بدلًا من الكلام :

لقد اشتهر استخدام آيات القرآن عند بعض الناس في رد بعضهم على بعض كإجابة من سئل عن الساعة يجيبون بقولهم :(علمها عند ربي). والمخاطبة بينهم كالذين يقولون : (آتنا غداءنا)، ونحو ذلك فهذا إذا قُصد فهو بدعه ؛ قال في (المغني : ٣/ ٧٧) : « لا يجوز أن يجعل القرآن بدلًا من الكلام ».

٨ - قراءة القرآن بألحان الغناء:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ **(الاستقامة: ٤٨/١) :** « ومع هذا فلا يسوغ أن يقرأ القرآن بألحان الغناء ، ولا يقرن بالغناء من الآلات وغيرها ، لا عند من يقول بإباحة ذلك ، ولا عند من يحرمه بل المسلمون متفقون على الإنكار أن يُقرن بتحسين الصوت بالقرآن الآلات المطربة بالفم كالمزامير ، وباليد كالغرابيل » أ.هـ.

(١) أي : استغلق ولم ينطق به لسانه لغلبة النعاس.
(٢) أخرجه مسلم : (٧٨٧).
(٣) أخرجه مسلم : (٧٨٦).

وما ذكره شيخ الإسلام من قراءة القرآن بألحان الأغاني هو ما يفعله بعض القراء في هذا الزمن ممن لم يعرفوا فقه القراءة، وروح التلاوة.

ويذكر الشيخ محمد بن صالح المنجد عنهم عجبًا فيقول حفظه الله : (وبعضهم كان يحضر حفلة أم كلثوم في الصف الأول وعليهم العمائم ، من أجل أن يلتقطوا اللحن لكي يقرؤوا به في الإذاعة!!هذا عمل معروف عند هؤلاء القراء.

ولذلك النَّبي -ﷺ-ذم هؤلاء ذمًّا عظيماً وأخبر أنه سيأتي قوم آخر الزمن يقرؤونه بهذه الصفة ، كما قال في الحديث الصحيح : (**أخاف عليكم ستًا : إمارة السفهاء ، وسفك الدم ، وبيع الحكم**[١] ، **وقطيعة الرحم ، ونشوًا يتخذون القرآن مزامير ، وكثرة الشرط**) [٢].

إذن قول النَّبي -ﷺ-: (**نشوًا يتخذون القرآن مزامير**) هذا هو المقصود بهؤلاء الذين يتكلفون ويتابعون الألحان، ويجعلون القرآن مثل الأغاني.

فإذن الغناء الذي يقصد به التطريب، والعبث بالمدود ، وزيادة الحركات ، أو التأوهات فهذا لاشك أنه أمر مذموم وصاحبه آثم. ولما سئل الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن قراءة الألحان قال : (هي بدعة) [٣].

لذلك يجب أن نفرق بين تحسين القراءة ، وتجميل الصوت ، والخشوع والحزن ، وبين مشابهة ألحان أهل الفسق (والأغاني) والتمطيط ، والتأوه والطلوع والنزول ، فهذا مذموم ومحرم » أ.هـ. (من القصص النبوي عبر وعظات ص: ٨١-٨٢).

(١) يعني : اخذ الرشوة.
(٢) أخرجه أحمد :(٣/ ٤٦٤) من حديث عابس الغفاري، وصححه الألباني في صحيح الجامع : (٢٨١٢).
(٣) راجع المقصد الأرشد في ذكر الإمام أحمد : (١ / ١٦٤) ، (٢/ ٨٠)، وقال أيضا في رواية :(اتخذوا اغانينا ، اتخذوا اغانينا).

الفضل والإنعام من رب الأنام لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام، وصلى لله بالليل والناس نيام

عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله -ﷺ- قال : **(إن في الجنة غرفًا تُرى ظهورها من بطونها ، وبطونها من ظهورها**، فقام أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله ؟، **قال: لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام وصلى لله بالليل والناس نيام)**[1] .

وصف النَّبي -ﷺ- هذه الغرف وصفًا ، لم تتمالك نفوس الصحابة الصبر أمامه حتى يعرفوا من هم أهل هذه الغرف ، ومن السعداء الذين هم سكانها، فكان سؤال الأعرابي عن ذلك، وما كان منه -ﷺ- إلا أن ذكر شروط الظفر بها، ونيل هذه الغرف.

وهذه الصفات الحميدة جمعت بين حقوق تتعلق بالخلق والإحسان إليهم، وأخرى تتعلق بعلاقة العبد مع الخالق تبارك وتعالى وأول هذه الصفات الأربع:

١ طيب الكلام :

نعم الله على عباده لا تعُد ولا تُحصى ، ومن أعظم هذه النعم نعمة النطق التي يبين بها الإنسان عن مراده. وهذه النعمة تكون نعمة حقًا إذا استُعمل النطق بما هو خير ، أما إذا استُعمل بشر فهو وبال على صاحبه.

(١) أخرجه الترمذي : (١٩٨٤)، وحسنه الألباني في المشكاة : (٢٣٣٥).

فإذًا الغاية من خلق هذا العضو هو تسخيره في الكلام الحسن، والقول السديد كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب : ٧٠-٧١]. فمن كان صاحب قول سديد ، ولفظ رشيد كانت ثمرة ذلك من العزيز الحميد ؛ صلاح الأعمال والقلوب، وغفران السيئات و الذنوب.

قال الإمام أبو حاتم ابن حبان في كتابه (روضة العقلاء ص: ٤٥):

« الواجب على العاقل أن ينصف أذنيه من فيه ، ويعلم أنه إنما جُعلت له أذنان وفم واحد ليسمع أكثر مما يقول ، لأنه إذا قال ربما ندم، وإن لم يقل لم يندم ، وهو على رد ما لم يقل اقدر منه على رد ما قال ، والكلمة إذا تكلم بها ملكته، وإن لم يتكلم بها ملكها ».

والكلمة إذا لم توجه في الخير ، ويُحسن استخدامها تهلك الإنسان وتوبقه في النيران فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله –ﷺ– قال : (**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها، يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**) [(١)].

وفي حديث معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول –ﷺ–: (**وهل يكُبُّ الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم**) قالها جوابًا لقول معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : (**يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به**) [(٢)].

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (جامع العلوم والحكم : ٢/ ١٤٧) :

«وهذا يدل على أن كف اللسان وضبطه وحبسه هو أصل الخير كله، وأن من

(١) البخاري : (٦٤٧٧)، ومسلم : (٢٩٨٨) واللفظ له.
(٢) أخرجه الترمذي : (٢٦١٦) وقال :حديثٌ حسنٌ صحيح.

ملك لسانه فقد ملك أمره، وأحكمه، وضبطه). ونقل عن يحي بن أبي كثير قال: (ما صلح منطق رجل إلا عرفت ذلك في سائر عمله ، ولا فسد منطق رجل قط إلا عرفت ذلك في سائر عمله)[١].

ولقد جاءت النصوص ببيان فضيلة حسن الكلام ، وطيب المنطق، ولين الحديث :

أ - من أسباب الوقاية من النار :

عن عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله -ﷺ- قال : (**اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة**)[٢]. فالكلمة الطيبة سبب للوقاية من النار، واتقاء حرها وعذابها،أجارنا الله من ذلك.

ب - حسن الكلام من موجبات المغفرة :

عن هانئ بن يزيد أن رسول الله -ﷺ- قال : (**إن من موجبات المغفرة بذل السلام، وحسن الكلام**)[٣] فتأمل إلى هذا الفضل العظيم من رب كريم ، طريقه وسبيله ، بذل السلام ، وحسن الكلام.

ج - حسن الكلام من حقوق الطريق :

عن أبي طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُأن رسول الله -ﷺ- قال:(**مالكم والمجالس في الصعدات**[٤] **اجتنبوا مجالس الصعدات أما وإلا، فأدوا حقها ، غض البصر ، ورد السلام ، وإهداء السبيل، وحُسن الكلام**).[٥]

(١)انظر:(رفقًا أهل السُنَّة بأهل السُنَّة) للعلامة المحدث عبد المحسن العباد: (١٥ ـ٢٢).
(٢)البخاري : (١٤١٣) ، ومسلم : (١٠١٦).
(٣)رواه الطبري : (١٨٣١١) والخرائطي في مكارم الأخلاق ص:(٢٣) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة : (١٠٣٥).
(٤) جمع صعيد : وهو المجلس الواسع.
(٥) أخرجه مسلم : (٢١٦١).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ**(الفتح: ١٢/١١)**: «وأما إحسان الكلام، فقال عياض: فيه ندب إلى حسن معاملة المسلمين بعضهم لبعض، فإن الجالس على الطريق يمر به العدد الكثير من الناس، فربما ، سألوه عن بعض شأنهم، ووجهة طرقهم ، فيجب أن يتلقاهم بالجميل من الكلام ، ولا يتلقاهم بالضجر، وخشونة اللفظ ، وهو من جملة كف الأذى » أ.هـ.

٢-إطعام الطعام:

(وفي هذا فضيلة عظيمة لمن يطعم الطعام، والأدلة على فضل إطعام الطعام كثيرة في كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ.

فالمولى عَزَّوَجَلَّ يقول في كتابه الكريم في وصف عباده المؤمنين: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الإنسان:٨].

شعارهم في هذا العمل :﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾

[الإنسان:٩].

ويفعلون ذلك من أجل أنهم﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾

[الإنسان:١٠].

فكان الجزاء من الله تعالى: ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ ﴾

[الإنسان:١١].

ومن الجرائم العظام لمن استحق سقر: ﴿ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾

[المدثر:٤٤].

ولقد نبهتنا الآيات في سورة الإنسان أن عباد الله المؤمنين ما نالوا ذلك كله إلا بإخلاصهم ، وابتغائهم وجه الله تعالى.

وإلا فإن حاتمًا الطَّائي - أكرم العرب - ما نفعه ذلك عند الله شيئًا ، قال عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يا رسول الله؟ إن أبي كان يحمل الكَل، ويقرئ الضيف، ويُعين على نوائب الحق، فهل ينفعه ذلك عند الله؟ فقال له-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **(إن أباك طلب شيئًا فأصابه)** (١).

أي: طلب الذكر والثناء في الدنيا فأصاب ذلك، فهو إلى اليوم يُضرب به المثل في الكرم، ولكن الأجر والمثوبة فليس له شيء.

وممن كان مشهورًا عند الجاهلين بإطعام الطعام ، وإكرام الضيفان، عبدالله بن جدعان، فقد كان يقري الضيوف، وما يأتي حاج إلا ويزوده إلى أهله، في الجاهلية، تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : يا رسول الله إن ابن جدعان كان يقري الضيوف، ويفك العاني، ويصل الرحم، ويحسن الجوار، فهل ينفعه ذلك؟ قال رسول الله-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **(لا إنه لم يقل يومًا قط، اللهم اغفر لي خطيئتي يوم الدين)** (٢).

وعلى المسلم وهو يسمع هذه الأخبار أن يحمد الله الغفارعلى نعمة التوحيد، وإخلاص العبادة لله تعالى.

وقد جاءت النصوص في سُنَّة النَّبي-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قال : **(فكوا العاني يعني الأسير وأطعموا الجائع، وعودوا المريض)** رواه البخاري (٣).

قال ابن بطال : (قال أبو الزناد: في هذا الحديث الحض على المواساة، واستجلاب قلوب الناس بإطعام الطعام، وبذل السلام، لأنه ليس شي أجلب للمحبة، وأثبت للمودة بينهما) أ.هـ.

---

(١) أخرجه أحمد حديث: (١٧٩١٢)، وابن حبان حديث:(٣٣٣١)، والطيالسي:(١١١٤).
(٢) أخرجه أحمد في مسنده برقم:(٢٤٣٣٥)، والحاكم في مستدركه - كتاب التفسير - تفسير سورة الشعراء. انظرالسلسلة الصحيحة رقم :(٢٩٢٧).
(٣) أخرجه البخاري - كتاب المرضى - باب وجوب عيادة المريض.

وإطعام المساكين، سبب في دخول الجنة، وقد كان هذا العمل من شعار الصالحين.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله -ﷺ-: (**من أصبح منكم اليوم صائماً؟** قال: أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أنا، **قال فمن تبع منكم اليوم جنازة؟**، قال أبو بكر :أنا ، **قال: فمن أطعم اليوم مسكيناً؟**، قال أبو بكر: أنا، **قال: فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟** ، قال أبو بكر : أنا، فقال رسول الله -ﷺ-: (**ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة**) (١).

وقد حث النَّبي -ﷺ- أبا ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وأوصاه بإطعام الجيران ففي صحيح مسلم، أن رسول الله -ﷺ- قال: (**يا أبا ذر إذا طبخت مرقة، فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك**) (٢).

وعن عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبي -ﷺ- قال: (**يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**).(٣)

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال إن النَّبي -ﷺ- قال: (**إن في الجنة غرفا يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها**، قالوا لمن هي يا رسول الله؟ قال : (**لمن أطعم الطعام، وأطاب الكلام، وصلى بالليل والناس نيام**) (٤).

وإطعام الطعام من خير الأعمال في الإسلام فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إن رجلاً سأل النَّبي -ﷺ-: (أي الإسلام خير؟، **قال: تطعم**

(١) أخرجه مسلم - كتاب الزكاة - باب من جمع الصدقة.
(٢)أخرجه مسلم - كتاب البر والصلة - باب الوصية بالجار والإحسان إليه.
(٣) أخرجه أحمد برقم :(٢٣١٤٧)، وابن ماجه كتاب إقامة الصلاة باب ما جاء في قيام الليل انظر السلسلة الصحيحة رقم :(٥٦٩).
(٤) أخرجه أحمد - حديث:(٦٤٤٣).انظر صحيح الترغيب والترهيب :(٣٧٠٨).

الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت، ومن لم تعرف) (١).

وإطعام الطعام، من مكارم الأخلاق وحميد العادات، وهو علامة الجود والسخاء، ومكارم الأخلاق، وفيه نفع للمحتاجين، وسد الجوع.

وقد امتدح النَّبي -ﷺ- الأشعريين من الصحابة، لاتصافهم بهذا الخلق الكريم، وتعاونهم فيما بينهم، وتراحمهم على أدناهم، فقال -ﷺ- في حديث أبي موسى رضي الله عنه -: **(إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، وقل طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم بالسوية، فهم مني وأنا منهم)** (٢).

ومعنى أرملوا: أي فني طعامهم.

قال الإمام النووي رحمه الله **تعالى (شرح مسلم:١٦/٥٨١):** (وفي هذا الحديث: فضيلة الأشعريين، وفضيلة الإيثار والمواساة، وفضيلة خلط الأزواد في السفر، وفضيلة جمعها في شيء عند قلتها في الحضر ثم يقسم) أ.هـ.

والإطعام هو داخل في باب الإنفاق والصدقة، والتي تكاثرت النصوص من الكتاب والسُنَّة في فضلها، وبيان أن الله يخلف على صاحبها، وهو ما بقى للإنسان لحياته الأخروية.

فاللهم قنا شح نفوسنا، واخلف علينا بخير، واجعلنا في جنات الفردوس في عليين (٣).

---

(١) أخرجه البخاري - كتاب الإيمان باب : إطعام الطعام من الإسلام، و مسلم - كتاب الإيمان باب بيان تفاضل الإسلام

(٢) أخرجه البخاري - كتاب الشركة - باب الشركة في الطعام والتعبد والعروض، ومسلم - كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل الأشعريين.

(٣) بنصه من كتابي (قصة صاحب الرغيف) طبعة دار الإيمان الإسكندرية.

٣- وأدام الصيام :

قال الإمام المباركفوري رَحِمَهُ اللَّهُ **(تحفة الأحوذي : ٦ / ١٠١ ١٠٢)** : « (وأدام الصيام) أي : أكثر منه بعد الفريضة بحيث تابع بعضها بعضًا ، ولا يقطعها رأسًا ، قاله ابن الملك. وقيل : أقله أن يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ».

قلت : وفيه فضيلة الصيام ، وعظيم أجر أهله ، فالصيام من أجل العبادات، وأفضل القربات ، ومن أدلة ذلك :

١-كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به : عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: **(قال الله –عَزَّ وَجَلَّ–: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ، والصيام جُنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحدُ أو قاتله ، فليقل: إني صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحها : إذا فطر فرح بفطره. وإذا لقي ربه فرح بصومه)** متفق عليه.

وفي رواية البخاري : **(ويترك طعامه وشرابه ، وشهوته ، من أجلي ، الصيام لي وأنا اجزي به ، والحسنه بعشر أمثالها).**

وفي راوية مسلم : **(كل عمل ابن آدم يضاعف : الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، قال تعالى : إلا الصوم فإنه لي وأنا اجزي به من يدع شهوته وطعامه من أجلي. للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحه عند لقاء ربه ، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك)**[١].

٢- الصيام، وباب الريان : عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قال : **(من أنفق زوجين**[٢] **في سبيل الله نوُدي من أبواب الجنة : يا عبد الله هذا خير،**

---

(١) أخرجه البخاري : (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١).

(٢) قوله :(زوجين)أي : صنفين.

فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد ، دعُي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام ، دُعي من باب الريان ، ومن كان من أهل الصدقة ، دُعي من باب الصدقة) (١).

وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله -ﷺ- : **(إن في الجنة بابًا يقال له (الريان) يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد)** (٢).

٣- الصيام جُنَّة : عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : قال رسول الله -ﷺ- : **(الصيام جُنَّةٌ يستجن بها العبد من النار)** (٣).

وعن عثمان بن أبي العاصي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله -ﷺ- يقول : **(الصيام جُنَّة من النار ، كجنة أحدكم من القتال)** (٤).

٤- وصية النَّبي -ﷺ-: وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله -ﷺ- أنه قال: (عليك بالصوم ، فإنه لا عدل له).(٥)

وعند ابن حبان : قلت : يا رسول الله دلني على عمل أدخل به الجنة قال: **(عليك بالصوم فإنه لا مثل له)** وكان أبو أمامة لا يُرى في بيته الدخان نهارًا إلا إذا نزل بهم ضيف.

٥- فضل الصيام في الحر: عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (أن رسول الله -ﷺ- بعث أبا موسى على سرية في البحر ، فبينما هم كذلك ، قد رفعوا الشراع في ليلة مظلمة إذا هاتف فوقهم يهتف : يا أهل السفينة قفوا أخبركم

---

(١) أخرجه البخاري : (١٨٩٧)، ومسلم : (١٠٢٧).
(٢) أخرجه البخاري : (١٨٩٦)، ومسلم : (١١٥٢).
(٣)أخرجه احمد : (١٤٣٨٠).
(٤) أخرجه أحمد : (١٥٩٥٤١) ، وابن ماجه (١٦٣٩)، وانظر صحيح الترغيب : (٩٧١).
(٥) وابن خزيمة (١٧٧٦)، و أخرجه النسائي : (٢٢٢٢).

بقضاء قضاه الله على نفسه ، فقال أبو موسى : أخبرنا إن كنت مخبرًا قال : **إن الله تبارك وتعالى قضَى على نفسه أنه من أعطش نفسه له في يوم صائف ، سقاه يوم العطش**).

وفي راوية : (**إن الله قضى على نفسه أن من عطش نفسه لله في يوم حار ، كان حقًا على الله أن يرويه يوم القيامة**.

قال: فكان أبو موسى يتوخى اليوم الشديد الحر الذي يكاد ينسلخ فيه حرًا فيصومه) [(١)]

٦- شفاعة الصيام لأهله : عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قال : (**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أي رب منعته الطعام والشهوة ، فشفعني فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل ، فشفعني فيه، قال : فيشفعان**) [(٢)].

فهذه بعض الأحاديث في فضل الصيام عمومًا ، وهناك أحاديث أخرى تذكر فضائل صيام بعض الأيام أو الشهور فمن ذلك صيام شهر المحرم ، ويوم عرفة وعاشوراء ، والست من شوال ، والاثنين والخميس ، وثلاثة أيام من كل شهر.

ولولا خشية الإطالة لفصلت في الأمر ، ولكن عد إلى ذلك في مظانها.

٤ وصلى لله والناس نيام :

صلاة الليل هي أفضل الصلاة بعد الفريضة ، وبذلك ثبت النص عن رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول

(١) انظر صحيح الترغيب والترهيب للألباني برقم : (٩٧٤).
(٢) أخرجه أحمد :(٦٤٣٢)، و رواه الطبراني :(١٣٥٠٩)، وانظر صحيح الترغيب برقم : (٩٧٣).

الله -ﷺ-: **(أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم ، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل)** (١).

وقيام الليل فيه فضائل كثيرة جاءت في حديث أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله-ﷺ-قال : **(عليكم بقيام الليل ، فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وقربة إلى ربكم، ومكفرة السيئات ، ومنهاة عن الإثم)** (٢).

وقد دعا النَّبي -ﷺ-لرجل وامرأة قاما من الليل ، فصليا ، دعا لهما بالرحمة كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله-ﷺ-: **(رحم الله رجلًا قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته ، فإن أبت نضح في وجهها الماء ، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها ، فإن أبى نضحت في وجهه الماء)** (٣).

وثلاثة يحبهم الله ومنهم قائم الليل ، فعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله-ﷺ-: **(ثلاثة يحبهم الله ، ويضحك إليهم، ويستبشر بهم : الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه لله عَزَّوَجَلَّ ، فإما أن يقتل ، وإما أن ينصره الله ويكفيه ، فيقول :انظروا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه ، والذي له امرأة حسنة، وفراش لين حسن ، فيقوم ، فيقول : يذر شهوته ويذكرني ، ولو شاء رقد ، والذي إذا كان في سفر كان معه ركب ، فسهروا ثم هجعوا ، فقام من السحر في ضراء وسراء)** (٤).

وقد نبه الرسول-ﷺ-إلى أمر الإخلاص لله تعالى ، بقوله :(وصلى لله) فله لا لغيره قام يتهجد في جنح الليل ، والناس من حوله نيام ، قد علاهم الشخير، وهو يؤثر قيامه الليل على هنأة الفراش ، وغمضة العين.

---

(١) أخرجه مسلم : (١١٦٣).
(٢)أخرجه الترمذي : (٣٥٤٩) ، وحسنه الألباني صحيح الترغيب :(٦٢٠).
(٣) أخرجه أبو داود :(١٣٠٨)، والنسائي : (١٦١٠)، وصححه الألباني الترغيب : (٦٢١).
(٤) انظر صحيح الترغيب والترهيب للعلامة الألباني برقم : (٦٢٥).

فيا حسرة من فعل ذلك لغير الله ، ومن أتعب نفسه بعمل يلقاه يوم القيامة هباءً منثورًا ، بسبب ريائه ، وطلبه الأجر من الناس بالثناء والمديح نعوذ بالله من ذلك) **(فرب قائم ليس له من قيامه إلا السهر)** [١].

(١)حديث مرفوع رواه ابن ماجه : (١٦٩٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع :(٣٤٨٨).

أي المنزلين تختار ؟!

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ. قال : **(ما منكم من أحد إلا له منزلان : منزل في الجنة ومنزل في النار ، فإذا مات فدخل النار ، ورث أهل الجنة منزله ، فذلك قوله تعالى :** ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ١٠ ﴾ [المؤمنون: ١٠] [١].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله –ﷺ-: **(لا يدخل أحدُ الجنة إلا أُرى مقعده من النار لو أساء ، ليزداد شكرًا ، ولا يدخل النار أحدٌ إلا أُري مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرةً)** [٢].

إن لكل واحد من الخلق منزلين ، أحدهما في الجنة والآخر في النار فإذا سعى المؤمن في طاعة الله تعالى، وعمل الصالحات ، وامتثل أمر رب الأرض والسموات ، واجتنب المنهيات ، فقد سعى في فكاك نفسه من النار.

ومعنى ذلك في حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله –ﷺ– قال : **(إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديًا أو نصرانيا فيقول : هذا فكاكك من النار)** [٣].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ : «ومعنى (فكاكك):أنك كنت معرضًا لدخول النار، وهذا فكاكك ، لأن الله تعالى قدر للنار عددًا يملؤها ،فإذا دخلها الكفار بذنوبهم وكفرهم،وصاروا في معنى الفكاك للمسلمين والله أعلم » [٤].

---

(١) أخرجه ابن ماجه :(٤٢٦٨)، وصححه الألباني في الصحيحة :(٢٢٧٩).
(٢)أخرجه البخاري :(٦٥٦٩).
(٣) أخرجه مسلم : (٢٧٦٧).
(٤) شرح رياض الصالحين (١ / ٧٧٠) لابن عثيمين.

فيا معشر المسلمين الكرام من الرجال والنساء والشباب والفتيات ، ليسع كل منا إلى خلاص نفسه من منزل النار ، فإنها بئس القرار ، وسوء الدار. ولن يكون ذلك إلا بالجد والاجتهاد ، والعمل الصادق ، والسعي الحثيث في التمسك بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ. بالبعد عن الشركيات والخرافات ، والبدع ، والمخزيات ، والمعاصي والسيئات.

وعليك أخي الكريم أختي الكريمة أن يسعى كل منكما إلى عمارة منزله في الجنة ، وبناء لبناته ، ووضع أساسه.

وكل ذلك قد علمت طريقه ، وهديت إلى سبيله ، وذكرتُ لك أسبابه في هذا المؤلف المتواضع الذي يرجوك كاتبه ألا تنساه من دعوة صالحة في ظهر الغيب ينفعه الله بها وإياك.

وأسال المولى عَزَّوَجَلَّ أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعلنا من أهل هذه الصفات التي من حققها بُني له بيوت وقصور، ومنازل في جنة رب الأرض والسموات... اللهم آمين.

وكتبه

أبو مالك عدنان المقطري

عفا الله عنه

المراجــع

١- الاستقامة شيخ الإسلام ابن تيمية ، دار البصيرة الإسكندرية.

٢- الإيمان والعمل الصالح سبب النجاح ، علي بن نايف الشحوذ ، طبعة خيرية.

٣- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ، ابن دقيق العبد ، دار الفكر للطباعة والنشر.

٤- أحكام القرآن ، ابن العربي لمالكي ، شركة القدس للتصوير.

٥- أحكام الجنائز، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.

٦ -الأخلاق بين الطبع والتطبيع، فيصل الحاشدي، دار الإيمان، الإسكندرية.

٧- آداب عيادة المريض ، عقيل المقطري، ملتقى التقوى الدعوي الخيري.

٨ - الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ، محي الدين النووي ، دار إحياء التراث العربي.

٩ - إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.

١٠- إرواء الغليل في فقه الرؤيا والتأويل ، أبو عمر عادل بن أبي زيد ، مكتبة مكة مصر.

١١- أصل صفة الصلاة،محمد ناصر الدين الألباني،مكتبة المعارف، الرياض.

١٢- أعلام السُنَّة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة ، حافظ الحكمي، طبعة خاصة بالمنتدى الإسلامي.

١٣- اقتضاء الصراط المستقيم ، شيخ الإسلام ابن تيمية، دار الأنصار للنشر والتوزيع.

١٤- بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ابن رشد الحفيد ، دار العقيدة مصر.

١٥ -البداية والنهاية، أبوالفداء ابن كثير ، مكتبة الصفا مصر.

١٦- تحفة الأحوذي بشرح جامع االترمذي ، أبو العلاءالمباركفوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

١٧- ترطيب الأفواه بذكر من يظلهم الله ، سيد عفاني ، مكتبة معاذ بن جبل، دار العفاني.

١٨- تفسير القرآن العظيم ، أبوالفداءابن كثير ، دار المعرفة ، بيروت.

١٩- تفسير جزء عمَّ ، محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا للنشر.

٢٠ -تفسيرالربانيين لعموم المؤمنين (جزء عمَّ)، مصطفى العدوي ، مكتبة الضياء طنطا.

٢١- تمام المنة في التعليق على فقه محمد ناصرالدين الألباني ، دار الراية للنشر والتوزيع.

٢٢- توضيح الأحكام من بلوغ المرام ، عبد الله بن عبد الرحمن البسام ، دار

ابن الهيثم ، القاهرة.

٢٣- تهذيب سيرة ابن هشام ، عبد السلام هارون ، مؤسسة الرسالة ، دار البحوث العلمية الكويت.

٢٤ - تهذيب تسهيل العقيدة الإسلامية ، عبد العزيزالجبرين ، مطبعة سفير، الرياض.

٢٥ - تيسير الوصول إلى مايحبه الرسول ، عدنان المقطري ، دارعالم الفوائد للنشر والتوزيع ، مصر. الطبعة الأولى.

٢٦ - الخطب المنبرية في المناسبات العصرية ، صالح بن فوزان الفوزان، مؤسسة الرسالة بيروت.

٢٧- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي ، مكتبة جزيرة الورد ، مكتبة الإيمان.

٢٨ -الجمعة آداب وأحكام ، مصطفى العدوي ، مكتبة مكة ، مصر.

٢٩ -رفقًا أهل السُنَّة بأهل السُنَّة ، عبد المحسن العباد، دار المغني للنشر والتوزيع.

٣٠- زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن القيم الجوزية ، مؤسسة الرسالة ناشرون.

٣١ - سبل السلام شرح بلوغ المرام ، ابن الأميرالصنعاني دارالبصيرة ، الإسكندرية.

٣٢ -سلسلة الآداب الشرعية، محمد بن صالح المنجد ، دارالقدس ،اليمن.

٣٣ -سلسلة العلامتين ، ابن باز ، والألباني ، مطوية دعوية.

٣٤ -سُنن الترمذي ، أبوعيسى الترمذي ، بيت الأفكار الدولية.

٣٥ -سُنن أبي داود ، أبو داود السجستاني ، مكتبة المعارف.

٣٦ -سُنن النسائي ، أحمد بن شعيب النسائي ، مكتبة المعارف.

٣٧ -سُنن ابن ماجه ، محمد القزويني (ابن ماجه) ، مكتبة المعارف.

٣٨- سير أعلام النبلاء ، شمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة ، بيروت.

٣٩ -السيرة النبوية ، عبد الملك بن هشام، دارابن الهيثم ، القاهرة.

٤١ -السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار ، محمد بن علي الشوكاني ، دار ابن حزم ، بيروت.

٤٢- السلسلة الصحيحة ، محمد ناصرالدين الألباني ، دار المعارف.

٤٣ -السلسلة الضعيفة، محمد ناصرالدين الألباني ، دار المعارف.

٤٤-السوق آداب وأحكام ، أيمن بركات، دار أًصحاب الحديث، المنصورة.

٤٥- شرح الأربعين النووية ، محمدالعثيمين ، دار الثريا للنشر.

٤٦ -شرح حصن مسلم ، أبو مسلم الأحمد ، مكتية الهدي المحمدي.

٤٧ -شرح رياض الصالحين ، محمد العثيمين ، دارالسلام للطباعة والنشر، القاهرة.

٤٨ -شرح السُنَّة ، الحسين بن مسعود البغوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

٤٩ -الشرح الممتع على زاد المستقنع ، محمد العثيمين ، دارابن الجوزي ، السعودية.

٥٠ -صحيح الإمام مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابوري ، دارالسلام ، الرياض.

٥١- صحيح الأدب المفرد ، محمد ناصر الدين الألباني ، دار الصديق ، السعودية.

٥٢ -صحيح الإمام البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري ، دارالسلام ، الرياض.

٥٣ -صحيح الجامع ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي.

٥٤ -صلاح الأمة في علو الهمة ، سيد عفاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.

٥٥ -الضياء اللامع من خطب الجوامع ، محمد العثيمين ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥٦ -الطريق إلى الجنة ، عبده بن أحمد الغامدي ، دار الطرفين، السعودية.

٥٧ -عون المعبود شرح سنن أبي داود ، للطيب آبادي، دارالفكر ، بيروت.

٥٨ -فتاوى أركان الإسلام ، محمد العثيمين ، دار الثريا للنشر.

٥٩ -فتح الباري الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، المطبعة السلفية ومكتباتها.

٦٠ -فضل الإسلام ، محمد بن عبد الوهاب النجدي.

٦١ -فقه الأدعية والأذكار، عبد الرزاق العباد ، كنوز أشبيليا.

٦٢- فقه العبادات، على القليصي ، مكتبة الإرشاد ، اليمن.

٦٣ -قصة صاحب الرغيف ، عدنان المقطري ، دارالإيمان ، الإسكندرية.

٦٤ -القول المفيد على كتاب التوحيد ، محمد العثيمين ، دار ابن الجوزي ، السعودية.

٦٥ -الكبائر شمس الدين الذهبي ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، قطر.

٦٦ -مجموع الفتاوى شيخ الإسلام ، ابن تيمية مكتبة ابن تيمية ، القاهرة.

٦٧ -مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر الرازي، دار الغد الجديد ، مصر.

٦٨ -مكارم الأخلاق ، محمد العثيمين ، دار الإيمان ، الإسكندرية.

٦٩ -مكارم الأخلاق في ضوء الكتاب والسُنَّة ، سليم الهلالي ، دار ابن القيم، السعودية، دار ابن عفان ، مصر.

٧٠ -من القصص النبوي عبر وعظات ، محمد بن صالح المنجد ، دار الفجر للتراث ، مصر.

٧١ -المدخل لابن الحاج، أبوعبد الله المالكي ، مكتبة دار التراث ، القاهرة.

٧٢ -الملخص الفقهي، صالح الفوزان ، دارا لإيمان الإسكندرية.

٧٣ -الموطأ ، الإمام مالك بن أنس ، جمعية إحياء التراث الإسلامي.

٧٤- نيل الأوطار ، محمد بن علي الشوكاني ، الشركة الدولية للطباعة.

٧٥ - وميض من اليمن في الخطب للجوامع ، سعيد الحداد ، دارالبصيرة ، الإسكندرية.

فِهرِس

فهرس